يهود الدونمة نشأتهم وأثرهم في الدولة العثمانية حتى عام 1909م

Donama Jews : Their Birth and Effect in Ottoman's state until 1909

سنان صادق جواد

ملخص البحث

تعد فرقة الدونمة من الفرق الدينية اليهودية الجديرة بالبحث والدراسة ، وجاءت اهميتها عن طريق عوامل عدة ، أهمها الدور الكبير في اواخر الدولة العثمانية ، هذا الدور الذي امتد حتى وريثتها تركيا اليوم . فضلاً عن ان هذه الفرقة كانت قد ظهرت في عالمنا الاسلامي لذا فمن الضروري التعرف على هذه الفرقة من خلال دراستها وتتبع مراحل تطورها والدور الذي لعبته في المجتمع العثماني المسلم .

الدونمة فرقة يهودية باطنية ظهرت قبل أكثر من ثلاثة قرون ويعد الحاخام اليهودي سبتاي زيفي (1626 – 1675) المؤسس الاول لهذه الفرقة اذ ادعى بأنه المسيح المخلص الذي جاء لينقذ بني اسرائيل وينهي مرحلة الشتات الذي كان عليه اتباع الديانة اليهودية وأنشاء مملكة اسرائيل في أرض الميعاد ، هذا الحاخام الذي لم يتورع عن اعتناق الاسلام بعد أن أيقن ان حياته اصبحت قاب قوسين أو أدنى من نهايتها عندما قامت الدولة العثمانية بمحاكمته لوشاية بعض حاخامات اليهود المناوئين له عند الباب العالي ، واتهامهم اياه بتهديد أمن وسلامة الدولة العثمانية ، هذا فلقد مثلت حادثة اعتناق سبتاي زيفي الدين الاسلامي حدثاً تاريخياً فاصلاً سواء لسبتاي ودعوته من جانب ، أم اليهود من اتباعه ومريديه من جانب آخر.

ان قيام سبتاي باعلان اسلامه من اجل النجاة بحياته ، أصاب اليهود من اتباعه بنوع من الذهول ، وهنا حدث أول انشقاق يمكننا تسجيله بين اتباع سبتاي وظهور دعوته بشكل رسمي ، فقد انقسم اتباعه الى قسمين الأول هم من استمروا باتباعه من خلال اعتناقهم الاسلام ظاهرياً واخفائهم اليهودية ، والقسم الثاني من رفضوا هذا الأمر جملة وتفصيلاً من خلال انكارهم قيام سبتاي باعتناق الاسلام وبقوا على يهوديتهم بعد أن تركوا سبتاي .

من خلال ما تم عرضه في صفحات بحثنا هذا يمكن ان نسجل بعض الاستنتاجات التي خرجنا بها والتي كان اهمها :-

١ يمثل يهود الدونمة انعطافة خطيرة في تأويخ الديانة اليهودية .

٢ ان سبتاي زيفي لم يكن قد وضع في باله في بداية دعوته انه سيتحول في يوماً ما إلى الاسلام حتى ولو كان ظاهرياً ، وانما اعتناق سبتاي للاسلام جاء مخرجاً للخلاص بالنسبة لسبتاي بعد ان ادرك بأنه قاب قوسين أو ادنى من الهلاك .

٣ رغم اعلان يهود الدونمة اعتناق الاسلام ، الا ان الروح الصهيونية استمرت بداخلهم ، لذلك نراهم يتفقون مع اليهود والحركة الصهيونية على انهاء حكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي رفض بيع فلسطين للحركة الصهيونية .

٤ تسامح وسعة صدر الدولة العثمانية تجاه رعاياها من اهل الذمة (اليهود والنصارى) وعدم تدخلها في شؤون هؤلاء الرعايا ، ومثال ذلك غض الدولة العثمانية نظرها عن سبتاي ولم تتدخل في امر دعوته الا بعد ان طلب عدد من الحاخامات من الدولة العثمانية التدخل ووضع حداً لدعوة سبتاي زيفي .

٥ يمكن عد سبتاي زيفي من الصهاينة الاوائل الذين نادوا باقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، وهذا يضفي طابعاً سياسياً على حركته اكثر من كونها حركة دينية .

٦ تغلغل يهود الدونمة في مفاصل الدولة العثمانية كافة ، بالتنسيق مع اليهود الحركة الصهيونية ، وخير ما يدل على ذلك سيطرة يهود الدونمة على جمعية الاتحاد والترقي ودورهم في انقلاب عام 1908 الذي قادته الجمعية ضد السلطان عبد الحميد الثاني ، ومن ثم عزل السلطان في عام 1909 والسيطرة على زمام الحكم في الدولة العثمانية بعد ازاحة آخر اعظم سلاطين بني عثمان .

يهود الدونمة نشأتهم وأثرهم في الدولة العثمانية حتى عام 1909م :

تعد فرقة الدونمة من الفرق الدينية اليهودية الجديرة بالبحث والدراسة ، وجاءت اهميتها عن طريق عوامل عدة ، أهمها الدور الكبير في اواخر الدولة العثمانية ، هذا الدور الذي امتد حتى وريثتها تركيا اليوم . فضلاً عن ان هذه الفرقة كانت قد ظهرت في عالمنا الاسلامي لذا فمن الضروري التعرف على هذه الفرقة من خلال دراستها وتتبع مراحل تطورها والدور الذي لعبته في المجتمع العثماني المسلم .

الدونمة فرقة يهودية باطنية ظهرت قبل أكثر من ثلاثة قرون ويعد الحاخام اليهودي سبتاي زيفي (1626 – 1675) المؤسس الاول لهذه الفرقة اذ ادعى بأنه المسيح المخلص الذي جاء لينقذ بني اسرائيل وينهي مرحلة الشتات الذي كان عليه اتباع الديانة اليهودية وأنشاء مملكة اسرائيل في أرض الميعاد ، هذا الحاخام الذي لم يتورع عن اعتناق الاسلام بعد أن أيقن ان حياته اصبحت قاب قوسين أو أدنى من نهايتها عندما قامت الدولة العثمانية بمحاكمته لوشاية بعض حاخامات اليهود المناوئين له عند الباب العالي ، واتهامهم اياه بتهديد أمن وسلامة الدولة العثمانية ، هذا فقد مثلت حادثة اعتناق سبتاي زيفي الدين الاسلامي حدثاً تاريخياً فاصلاً سواء لسبتاي ودعوته من جانب ، أم اليهود من اتباعه ومريديه من جانب آخر.

ان قيام سبتاي باعلان اسلامه من اجل النجاة بحياته ، أصاب اليهود من اتباعه بنوع من الذهول ، وهنا حدث أول انشقاق يمكننا تسجيله بين اتباع سبتاي وظهور دعوته بشكل رسمي ، فقد انقسم اتباعه الى قسمين الأول هم من استمروا باتباعه من خلال اعتناقهم الاسلام ظاهرياً واخفائهم اليهودية ، والقسم الثاني من رفضوا هذا الأمر جملة وتفصيلاً من خلال انكارهم قيام سبتاي باعتناق الاسلام وبقوا على يهوديتهم بعد أن تركوا سبتاي .

أولاً : الوجود اليهودي في الدولة العثمانية .

أسّست الدولة العثمانية في عام 1299 [1] ، وبجهود سلاطينها الاوائل توسعت حتى أصبحت امبراطورية عظيمة مترامية الأطراف شملت رقعة واسعة من أسيا وأفريقيا واوربا [2] ، ومن هنا ظهر عالم جديد أو أقوى عالمية جديدة يمكننا أن نطلق عليها عالم الهيمنة الاسلامية ان جاز التعبير ، الذي أعطى لرعاياه من غير المسلمين حق البقاء على ديانتهم وممارسة طقوسهم بكل حرية ، ولكن بما لا

يتعارض مع مبادئ الدين الاسلامي ، اذن هذا ما كان عليه حال أهل الذمة سواء كانوا يهوداً ام نصارى ، فقد عاشوا مع المسلمين جنباً الى جنب في ظل التسامح الديني الذي وفرته لهم الدولة العثمانية[3] .

عاش اليهود في ظل الدولة العثمانية منذ قيامها في أمان واستقرار من خلال منحهم حرياتهم الدينية وفق احكام الشريعة الاسلامية . فكان على الحاخام اليهودي الذي يمثل جميع اليهود في الدولة العثمانية مهمة تحديد الضرائب المفروضة على الطائفة اليهودية التي تعيش فيها ، كما كان له الحق في اختيار الرؤساء المحليين لليهود ، اذ كانوا يتسمون بمكانتهم الدينية الرسمية في الدولة العثمانية مع استقلالهم الذاتي في ادارة ممتلكاتهم ، فضلاً عن حريتهم في التعليم واقامة المعابد الخاصة بهم مع الحفاظ على تركيبهم الاجتماعي وعاداتهم وطقوسهم الدينية الى جانب حرية ممارستهم في المجالات الادارية والاقتصادية كما كانت لهم مدارسهم الخاصة بهم . [4]

ووفقاً لما جاء في كتب الت أريخ يمكننا ان نقسم الوجود اليهودي في الدولة العثمانية الى اربعة اقسام هي :-

أ -الجماعات اليهودية التي كانت تنتمي الى الامبراطورية البيزنطينية وكانت تقطن في الاراضي البيزنطية قبل الفتح العثماني لها عام 1453م وكانوا موجودين في مناطق مثل صاروخان والقرم وغاليبولي وسلانيك والقسطنطينية [5] .

ب -اليهود الذين هاجروا من العالم الغربي من مناطق بولندا والنمسا والمانيا وغيرها وأطلق على هؤلاء الاشكنازيم ((Ashkenazim)) . [6]

ج -اليهود الذين هاجروا من اسبانيا الى الدولة العثمانية في مطلع القرن السادس عشر ، واطلق عليهم السفارديم ((Sephardim)) . [7]

د -اليهود الشرقيون وكانوا يقطنون المناطق العربية اذ انتشروا في العراق وفلسطين وسائر شمال افريقيا . [8]

ولكي نقف على الحياة الكريمة التي عاشها اليهود في كنف الدولة العثمانية يجدر بنا العودة الى البدايات المبكرة لنشوء وتوسع الدولة العثمانية ، والسياسة التي اتبعها سلاطين بني عثمان تجاه اليهود ، ففي عهد السلطان مراد الاول (1360 – 1398) الذي استهل عهده بفتح أنقرة عام 1360م ، شهد هذه المدينة وفود عدد كبير من

اليهود اليها كونها من اكبر المدن العثمانية أنذاك ولما سمعوه ولمسوه من تسامح وحسن معاملة المسلمين لليهود . [9]

عندما حينما فتح السلطان محمد الثاني (الفاتح) (1451 – 1481) القسطنطينية (اسطنبول) عام 1453 رحب به اليهود الموجودين في القسطنطينية وأيدوه وذلك لسوء معاملة البيزنطينين لهم مقابل ما عرفوه وسمعوه عن الدولة العثمانية من تسامح ديني ، لذا قام السلطان محمد الفاتح بمنحهم بعض الامتيازات منها حق استقلالهم القضائي فيما يتعلق بالنزاعات والخلافات الداخلية بحسب تعاليم دينهم ، وبذلك جمع الحاخام الأكبر بين يديه السلطات الدينية والقضائية والمالية ، ثم حصل على لقب (حاخام باشي اليهود) . [10]

وفي عهد السلطان محمد الفاتح قام حاخام اليهود المدعو (اسحاق صفتي) بدعوة يهود العالم للهجرة الى الدولة العثمانية مؤكداً لهم ان السياسة العثمانية تساعد اليهود على العيش بأمان وحرية ، لذلك نرى ان اليهود كانوا قد احتلوا مناصب مهمة في بلاط السلطان محمد الفاتح فكان منهم طبيبه الخاص الحكيم يعقوب . [11]

أما عهد السلطان بايزيد الثاني (1481 – 1512) فقد شهد عهده أكبرهجرة يهودية في تاريخ الدولة العثمانية أنذاك ففي (2 آب 1492) أصدر ملك اسبانيا فرديناند وزوجته ايزبيلا أوامرهما بطرد اليهود من اسبانيا . [12]

ونتيجة لما أصاب اليهود من مصيبة استنجد الطبيب اليهودي موسى هامون وحاخام باشي اليهود بالسلطان بايزيد الثاني وطلبوا منه السماح لليهود بالتوجه الى الدولة العثمانية والعيش بين ظهرانيها بعد ان شرحوا للسلطان الوضع المأساوي لليهود ، تأثر السلطان من سوء الحالة التي انتهى اليها اليهود على يد ملوك اوربا المسيحيين ، لذا دفعته مروءته الاسلامية الى ان يصدر فرماناً الى ولاته كافة في الدولة العثمانية ، جاء فيه ((عدم رفض اليهود ومنعهم من دخول الامبراطورية العثمانية أو خلق العراقيل أمامهم بل استقبالهم بحفاوة)).[13]

أما في عهد السلطان سليم الاول (1512 – 1520) فعندما فتح مصر عام 1517 ، أقر لزعماء اليهود الصلاحيات كافة ، وربطهم بالعاصمة اسطنبول وأعطى لكل جماعة حق حكم نفسها بنفسها ، تحت حكم سلطة حاخامها المحلي . [14]

أما في عهد السلطان سليمان القانوني (1520 – 1566) فقد قام السلطان سليمان القانوني عام (1550) بدعوة اليهود الاشكناز للاستيطان في الاراضي العثمانية وبالفعل وصلت اعداد كبيرة منهم وسكنوا مع اخوانهم اليهود في اسطنبول ، وأدرنه ، وسلانيك ، وفلسطين ، وكانت هذه الهجرة تضم عدد ا لابأس به من الحاخامات ، وفي عهد القانوني حاز الطبيب اليهودي (جوزيف ناسي) [15]مكانة راقية حتى أصبح من المقربين الى السلطان [16] ، الى درجة مكنته من اقناع السلطان سليمان القانوني عام (1561) على اصدار فرمان منحه بموجبه امتيازاً على مدينة طبرية في فلسطين من أجل جعلها مركزاً للتجمع اليهودي في فلسطين مقابل دفع مبلغ من المال سنوياً . [17]

وفي عهد السلطان سليم الثاني (1566 – 1574) الذي مثل عهداً ذهبياً بالنسبة لليهود في الدولة العثمانية من خلال تغلغل وتمركز اليهود في البلاط العثماني وذلك عندما تزوج السلطان من اليهودية (نوربانو) التي أنجبت له الأمير مراد الذي اعتلى العرش باسم مراد الثالث ، اذ كان لهذه اليهودية دور كبير وواضح في افساح المجال امام اليهود للتغلغل في قصر السلطان . [18]

استمر السلطان سليم الثاني بمنح اليهود امتيازات عديدة فأمر بتعيين اليهودي (ابراهيم كاسترو) وزيراً للمالية وكان الاخير احد اللاجئين اليهود الى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني وذلك عام (1553) ، واستمر نفوذ اليهودي جوزيف ناسي في عهد السلطان سليم الثاني ، وهذا النفوذ يمثل امتداداً لنفوذه في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان سليمان القانوني ، فكان لناسي دوراً في السياسة الخارجية العثمانية فكان هو من كتب المعاهدة الفرنسية – العثمانية عام (1569) ، فضلاً عن قيامه بإقناع السلطان سليم الثاني على اعلان الحرب على البندقية التي رفضت التخلي عن جزيرة قبرص للعثمانيين وذلك عام(1570) . [19]

بأعتلاء السلطان مراد الثالث (1574 – 1595) استمر النفوذ اليهودي في البلاط العثماني وذلك من خلال انتصار جوزيف ناسي على منافسه الصدر الأعظم محمد صوقلي ، ويمكننا ان نرجع انتصار ناسي على صوقلي ، الى احتمالية قيام

والدة السلطان مراد الثالث السلطانة الام (نوربانو) بمؤازرة ناسي من خلال التأثير على قرارات ولدها السلطان مراد الثالث .[20]

وفي عهد السلطان محمود الثاني (1808 – 1839) استمر التسامح الاسلامي العثماني تجاه اليهود ، ففي عام 1836 صدر فرمانان خاصان بأهل الذمة من اليهود والنصارى جاء فيهما الأول :– ((تبعاً لاصول الشريعة الاسلامية ، صدر تصريح يقضي بالمساواة في الحرية الدينية لكل المواطنين في الدولة العثمانية الذين يتبعون اصول الديانات الثلاثة)) .

الثاني :– ((لكي تستطيع كل جماعة دينية ان تمارس في حرية كاملة تعاليم دينها دون تدخل نصرح بأن لكل مواطن ان يعبد الله تبعاً لأوامر دينه ، ولا يجبر أي شخص على ترك دينه ومعتقده)) .[21]

وتماشياً مع الامتيازات التي منح لليهود شهد عهد السلطان عبد العزيز (1861 – 1876) اصدار قانون خاص للأقليات منح اليهود حق التمثيل في مؤسسات الدولة التي كان محرم عليهم الدخول فيها ، وجاء في هذا القانون ان ممتلكات أبناء الأقليات لن تتعرض لأي ضرر ، ويحق لهم العمل في الوظائف الرسمية والالتحاق بالمدارس الرسمية الخاصة بهم وتكتفي الحكومة بالاشراف على مضمون المناهج التعليمية فقط ، كما ألغى الضرائب على غير المسلمين [22] ، وبهذا أصبح لليهود الحق في العمل في الاجهزة الحكومية والمدارس والجيش في الدولة العثمانية ، كما قام السلطان عبد العزيز باصدار فرمان آخر لصالح اليهود وذلك في (5 نيسان 1870) خصص بموجبه مساحة من الأرض تبلغ (2600) دونم الى (الاليانس الاسرائيلي) [23] الى الشرق من يافا في فلسطين لاقامة مدرسة زراعية ، ومنحهم ايضا تصريحاً لاستيراد كل انواع المعدات والمكائن دون ضرائب ورسوم ، وقد حقق هذا الفرمان فيما بعد لليهود فائدة كبيرة ، وهذا ما أكده ديفيد بن غوريون في قوله ((أشك بان الحلم الاسرائيلي كان سيتحقق لو ان المدرسة الزراعية في مكفة اسرائيل لم تنشأ)) .[24]

أما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909) ، فقد مثلت سياسته قمة التسامح تجاه اليهود ، وهذا ما جاء في كتابات اليهود أنفسهم ، اذ

ذكرت الموسوعة اليهودية ، ان السلطان عبد الحميد الثاني كان قد عامل اليهود معاملة طيبة [25] ، وهذا ما اكده بعض المقربين اليه من اليهود أمثال (ارمنيوس فامبيري) [26] ، الصديق الشخصي للسلطان عبد الحميد الثاني الذي قال ((انه من خلال الصداقة المستمرة التي تربطني بالسلطان منذ سنوات طويلة كانت لي الفرصة للتعرف على معاملته الطيبة لليهود وكان أول حاكم تركي يعطيهم المساواة أمام القانون مع رعاياه المسلمين ، وعندما استلم الحكم أمر بإعطاء رواتب شهرية لحاخام تركيا الأكبر ، وبمعنى آخر عامل الحاخام كما يعامل كبار موظفي الدولة ، واتخذ تقليداً بأن يرسل سنوياً في عيد الفصح الى حاخام (اسطنبول) ثمانية الاف فرنك لتوزع على فقراء اليهود في العاصمة التركية ، وعندما منعت حكومة كريت المحلية عام (1881) مشاركة اليهود في الانتخابات البلدية – الغى عبد الحميد هذه الانتخابات ووبخ السلطات المحلية لتعديها على حقوق اليهود ، وفي عام (1882) ونتيجة الحريق الذي نشب في الحي اليهودي (حسبنكي) تشردت ستة الاف عائلة يهودية في (اسطنبول) فبذل السلطان عبد الحميد ما باستطاعته لتخفيف هذه الكارثة عن اليهود))[27] .

وبعد هذا كله يمكن القول ان اليهود في الدولة العثمانية كانوا قد وجدوا المعاملة الكريمة وفقاً لأحكام الشريعة الاسلامية ، لذا بدأوا بتطوير أوضاعهم فيها من مهاجرين بائسين الى باحثين عن النفوذ والسطوة ، وكما رأينا فقد منحتهم الحكومة العثمانية الأراضي الزراعية وخصتهم بالاعفاءات الضريبية ووفرت لهم الحماية بل أشركتهم في بعثاتها الدبلوماسية ، وهذا ما يؤكد ان اليهود وبالأخص المهاجرين من اسبانيا لم يجدوا المأوى فقط في الدولة العثمانية بل وجدوا الرفاهية والحرية التامة ونتيجة لذلك امتلك اليهود المحلات الكبيرة في ازمير وسلانيك وحتى اسطنبول نفسها.

ثانياً :- حياة سبتاي زيفي ونشأته :

ولد سبتاي زيفي في أزمير عام (1626) في اسرة يهودية متزمتة ، تعود باصولها الى يهود اسبانيا الذين طردوا على يد الملك فرديناند وزوجته ازبيلا عام

1492 ، وكان والد سبتاي المدعو مردخاي وكيلاً لشركة انكليزية وهذا ما جعله ميسوراً وصاحب ثروة لا بأس بها ، وكان لسبتاي شقيقان يكبرانه سناً . (28)

ظهرت علامات الدهاء على سبتاي في وقت مبكر ، اذ كان مولعاً بقراءة الكتب الدينية ، ونتيجة لولعه هذا أيقن سبتاي ان ابناء قومه من اليهود يعتقدون بأن المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) ليس هو المسيح المنتظر الذي تتحدث عنه كتبهم ، وانهم أي اليهود لايزالون ينتظرون قدوم المسيح المخلص لهم من ظلم الشعوب الغير يهودية ، ومما لفت انتباهه اثناء مطالعته ان هناك الكثير ممن إدعوا بأنهم المسيح المنتظر او المسيح المخلص لليهود ، وبأنهم كانوا جميعاً كاذبين لهذا سولت له نفسه بأن يدعي هو بدوره بأنه المسيح المنتظر . (29)

بعد ان نجح والد سبتاي في اقناع ولديه للعمل في مجال التجارة ، عجز عن اقناع ولده الصغير سبتاي في السير على خطى اخويه ، حيث كان شغوفاً بقراءة الكتب الدينية وكانت لديه رغبة عارمة من اجل ان يصبح حاخاماً ، مما اضطر والده الى ان يعهد به الى الحاخام (اسحاق دلبا) فأثر الاخير فيه تأثيراً كبيراً ، وعلمه التوراة والتلمود وحبب اليه الكشف عن المعاني المجازية والتصوفية في الكتب الدينية ، الأمر الذي هيأ له النجاح في محاولته للاعلان عن نفسه بانه المسيح المنتظر (30) ، أكمل سبتاي دراسته في سن الخامسة عشر وكان خلال هذه المرحلة قد ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة فكان يتغلب على جميع مناقشيه ، فضلاً عن امكانيته في تحريف النصوص الدينية ، وفي سن الثامنة عشر اصبح حاخاماً فضلاً عن ممارسته التدريس وحصوله على مرتبة الاستاذية(31)

كان سبتاي جميل الصورة ذكياً عالماً أنيقاً حلو الحديث ويتميز بطلاقة اللسان ، كان متميزاً بقوة الجاذبية وعلى مقدرة عالية من حيث التأثير بالأخرين ، وكان ميالاً الى العزلة والتأمل اذ يقوم خلالها بطقوس وعبادات لا أصل لها في الديانة اليهودية ، حتى تكونت لديه نتيجة ادمانه قراءة الكتب الصوفية وتفسيرها وتحريفها عادات غريبة ، فكان يواصل الصوم ويكثر من الاستحمام والتطهر حتى يضفي نوعاً من القدسية على نفسه ، أما من الناحية الصحية فقد كان سبتاي معتلاً منذ طفولته بسبب حالات الصرع التي كانت تنتابه . (32)

ثالثاً : مراحل دعوة سبتاي زيفي .

تزوج سبتاي زواجه الاول وهو في الثانية والعشرين من عمره ، الا ان زواجه هذا كان حبراً على ورق ان جاز التعبير ، اذ انه لم يمس زوجته هذه ترفعاً منه استعداداً للمرحلة التالية والتي س يعلن فيها عن نفسه مسيحياً ، الا انه اعاد الكرة وتزوج مرة ثانية من فتاة يهودية من عائلة معروفة ولكنه لم يقربها أيضاً مما أثار احتجاج والد الفتاة عليه فطلقها ، وكان تفسير المقربين منه من أقاربه وطلابه لهذا التصرف على ان نوع من الطهارة والتبتل ، أما هو فقد كان يقول ان روح القدس قد أوحت اليه بان زواجه من المرأة المناسبة لم يحن بعد.(33)

وكما ذكرنا سابقاً ان سبتاي كان يعاني من اضطراب نفسي لأزمة طوال حياته ، وهذا الاضطراب يمر بمرحلتين اذ تبدأ بهياج ونشاط بالغين ثم يعقبها حالة انقباض وقنوط ، اطلق اتباعه على الحالة الاولى حالة الاستنارة وعلى الحالة الثانية حالة استتار الوجه (وجه الاله) ، اما من جانب سبتاي فقد كان عندما تعتريه الحالة الاولى يقوم بالتغني بالاشعار وينشد المزامير بصوت عال ، وأحياناً يرقص امام طلابه وزواره ، اما عندما تصيبه الحالة الثانية فقد كان يلجأ الى الوحدة والاعتزال عن الناس ، وعند سؤال المقربين له وطلابه عن سبب هذا الاعتزال فقد كان يقول لهم بأنه كان يصرع قوى الشر والشياطين . (34)

كان من عادة سبتاي ان يذهب مع طلابه مرة أو مرتين في الاسبوع الى البحر من اجل الاغتسال فيه ، وفي احدى المرات كان على وشك الغرق ولكن طلابه سارعوا الى انقاذه ، وهذه الحادثة اصبحت عيداً رسمياً عند الدونمة بذكرى انقاذ نبيهم من الغرق ، كما كان يذهب مع طلابه الى الجبال القريبة من المدينة لمناقشة بعض المسائل الدينية وافكار القبالة ، وفي احدى المرات وعندما كانوا هناك أخذ سبتاي يصرخ نحو الشمس يطلب منها التوقف ، وكان تلاميذه يصرخون معه ولكن صراخهم كان قد ذهب ادراج الرياح لعدم توقف الشمس(35)

اخذ سبتاي يلمح الى المقربين منه بأنه سيحقق أشياء عظيمة في المستقبل ، وفي الوقت نفسه كان يتحدث عن ظهور المخلص ووقت هذا الظهور ، ولم يكن هذا ليجلب انتباه اليهود لولا انه كان يقوم بأعمال مخالفة لليهودية ، فعلى سبيل المثال

وليس الحصر ، قيامه في احدى الايام وهو يقرأ مقطعاً من التوراة بنطق الاسم (يهوه) كما هو مكتوب علماً ان اليهود لا يجيزون نطق هذا الاسم او التلفظ به ، الا في حالات خاصة كنطقة من قبل الكاهن الاكبر في الهيكل (في قدس الاقداس) مرة في السنة وفي وقت معين ، كما قام في احد الايام بمفاتحة طلابه ومقربيه بأنه هو الذي سيكون المسيح المخلص لليهود . [36]

استغل سبتاي التفسير اليهودي الذي وضعه المفسرون اليهود للكتب المقدسة بشكل رمزي اذ كان أولئك المفسرون مقتنعين بأن كل حرف من الأبجدية العبرية له رقم خاص به وان مجموع هذه الارقام لديهم تدل على احداث معينة فاستخرجوا حساب مبني على كلمة (ZAT) ومقدارها طبقاً لحساب الجمل (408) وكما يأتي :-

Z = 7 ، A = 1 ، T = 400 ، ويضيف القباليون (5000) عام الى (408) وهو ما يقابل عام (1648) ويعتقد اليهود ان هذا هو العام الذي ينتظره يهود العالم المسحوقون ، وهذا هو العام الذي سيقودهم الى السيادة على العالم من فلسطين[37].

وهذا التفسير كان مدعوماً بالاشارات التي وردت في كتاب الزوهر الذي اشار الى عام (1648) هو عام خلاص اليهود . [38]

وطبقاً لما قاله سبتاي لأحد الحاخامات فيما بعد أي في عام 1665 ، ((أنه في احدى الليالي من عام 1648 هبط عليه الروح القدس عندما كان يسير في الليل على بعد ساعتين من المدينة اذ سمع صوت الله يقول له: أنت مخلص اسرائيل انت المسيح ابن داود المختار من قبل رب يعقوب وأنت المقدر لك انقاذ اسرائيل وجمعهم من اركان الارض الأربعة الى اورشليم)) .[39]

لم يبق سبتاي دعوته سرية ومحصورة بين طلابه وأصحابه ، وهذا ما أدى الى وصول دعوته الى اذان الحاخامات في أزمير مما أثار غضبهم وحنقهم ، فاستدعوا سبتاي للمثول أمامهم للتأكد من صحة ما وصل اليهم من اخبار اعلان سبتاي نفسه مسيحياً ومنقذاً لبني اسرائيل ، الا ان الاخير رفض هذه الدعوة وسخر من اصحابها ، وهذا ما دفعهم الى الاجتماع من اجل النظر في أمر سبتاي فكان اجماعهم على أن يطردوه من الديانة اليهودية ، وكان من بينهم استاذه الحاخام

(جوزيف اسكافا) الذي دعا الى قتله من خلال قوله : ((ان من يقتله سيجازى بكل خير لان سبتاي سيقود اليهود الى الضلال ويبتدع ديناً جديداً)).[40]

بعد أن أيقن سبتاي حقيقة صعوبة بقائه في أزمير ، بسبب أثارته لحاخاماتها قرر مغادرتها في بداية خمسينات القرن السابع عشر ، وكانت الوجهة التي اختارها هي سلانيك كونها تضم أكبر جالية يهودية في الدولة العثمانية أنذاك ، وكان أغلب اليهود الموجودين في سلانيك هم من الذين تم طردهم من اسبانيا والبرتغال عام 1492 ، اذ كان فيها ما يزيد على ستة وثلاثين كنسياً ، ويبدوا ان حجم الجالية اليهودية الكبير هو الذي دفعه الى الذهاب الى سلانيك .[41]

وعند وصول سبتاي الى سلانيك استقر في بيت الحاخام (جوزيف فلورنتين) الذي أصبح فيما بعد من مؤسسي فرقة الدونمة ، وفي سلانيك استمر سبتاي على سلوكه المخالف للتعاليم اليهودية ، والتي كان يبررها بحسب هواه ، ففي احد الأيام قام باعداد وليمة لكبار الحاخامات الموجودين في سلانيك وعندما التئم جمعهم جاء بنسخة من التوراة وأخذ يقوم بمراسيم عقد القران بينه وبين التوراة ، وقد صدم هذا العمل الحاخامات الحاضرين وأثار غضبهم ، ومن جانبه برر سبتاي عمله هذا بأن كل من يؤمن بالتوراة ويلتزم بها فهو زوج لها .[42]

نتيجة لهذا السلوك المنافي لتعاليم اليهود قرر الحاخامات طرده من سلانيك بعد نجاحهم باستصدار حكماً بذلك من المحكمة ، وهذا ما دفع سبتاي إلى ترك سلانيك والتوجه نحو اثينا وبعض المدن اليونانية في محاولة منه لكسب الانصار والمؤيدين ، ثم عاد بعد ذلك الى الدولة العثمانية عام 1658 ، واستقر هذه المرة في اسطنبول ، التي كانت تضم عدد ا كبيرا من اليهود كونها عاصمة الدولة العثمانية ، وفيها تعرف على عدد من كبار الشخصيات اليهودية ، وكان في مقدمة هؤلاء (ابراهام يكيني) الذي ك ان شاعراً وعالماً بعلم القبالة وأصبح فيما بعد من أخلص اتباع سبتاي والمقربين اليه .[43]

وكان استقبال اليهود لسبتاي في البداية استقبالاً جيداً ، ولكن نظرتهم اليه تغيرت بعد أن رأوا سلوكه الغريب وغير المنطقي في اغلب الأحيان ، ومن اعماله الغريبة التي قام بها انه في احدى الايام قام بشراء سمكة كبيرة ولفها بقطعة من

القماش من ثم وضعها في المهد ، وعندما علم الحاخامات بذلك سألوه عن فعلته هذه ، فأجابهم بأن خلاص اليهود سوف يكون تحت رمز الحوت ، أما المهد فهو رمز يشير الى النمو البطيء لخلاص اليهود عند ظهور المخلص ، وأصل هذه الفكرة موجود في التوراة . (44)

واعلن سبتاي عن الغاء بعض أحكام التوراة ، وأكل بعض الاطعمة المحرمة على اليهود وأصر على أتباعه ان يقوموا بذلك وكان يقول : ((بوركت يارب يامن تحلل المحرم)) ، وكان سبتاي يستشهد على ذلك بنص من التوراة ورد في سفر أشيعا 51 : 4 وهو ((أنصتوا الي يا شعبي ويا أمتي أصغي لان الشريعة من عندي تخرج)) . (45)

ولد تصرف سبتاي هذا رد فعل عنيف لدى حاخامات المدينة اذ خشى حاخامات هذه المدينة كما خشى غيرهم في مدن اخرى ان ما يقوم به سبتاي هو بداية انشقاق في اليهودية وهذا خطر لا يمكن تجاهله ، فأصدروا حكماً أخر عليه بالطرد من اليهودية (حرم) وجلده أربعين جلدة ، وحرموا على اليهود الاتصال به ، فغادر المدينة الى مسقط رأسه أزمير . (46)

لم تكن عودة سبتاي الى مسقط رأسه ازمير مرحب بها من قبل الحاخامات ، وهم الذين كانوا قد طردوه سابقاً منها ، فكثر حديث الناس عليه وعلى اخوته الذين أحسوا بخطورة بقا ئه في أزمير لذلك اقترح عليه اخوته بالسفر الى فلسطين وكان هذا الاقتراح قد لاقى هوى في نفس سبتاي اذ قبله دون تردد ، فحزم أمتعته وغادر ازمير الى صوب فلسطين وكان ذلك في عام 1663 . (47)

لم يذهب سبتاي مباشرة الى فلسطين ، بل ذهب أولاً الى جزيرة رودس ونزل ضيفاً على حاخام الجزيرة ودرس معه كتاب الزوهر ، ثم بعد ذلك ترك الجزيرة وتوجه الى طرابلس في سوريا ومنها الى مصر التي مكث فيها عدة أشهر تعرف خلالها على زعيم الجالية اليهودية الذي كان يشغل منصب مسؤول الخزانة المالية في مصر رفائيل يوسف جلبي الذي كان يأوي عشرات اليهود من رجال الدين ومن المختصين بعلم القبالة ، وكان هذا يقوم بالانفاق على هؤلاء الاشخاص من ماله الخاص ،

وكان لسبتاي مع هؤلاء مناقشات ومناظرات أنصبت اكثرها على قضايا الفقه اليهودي والقبالة فأقروا له بالعلم واعترفوا له بذلك. [48]

غادر سبتاي مصر متوجهاً الى فلسطين ووصل القدس في صيف عام 1662 ، وفيها انضم الى احدى المدارس الدينية ، فضلاً عن ممارسته الاعتكاف لمدة طويلة خارج المدينة ، اذ كان يبقى ليالي وأيام ا فضلاً عن قيامه بزيارة قبور أولياء اليهود من أجل ان تحل أرواحهم فيه ، وخلال اقامته هذه في القدس التف حوله مجموعة من اليهود ممن تأثروا به . [49]

وأثناء اقامته في القدس أصابت الجالية اليهودية فيها ضائقة مالية كبيرة ، فأرادت الجالية ان ترسل شخصاً الى مصر لجمع المال ، فوقع اختيارهم على سبتاي وذلك لعلاقته برفائيل جلبي ، وقبل توجهه الى مصر ذهب أولاً الى مدينة الخليل وزار فيها قبور وأضرحة بعض اولياء اليهود ، ومن الخليل توجه الى غزة ومنها ذهب الى القاهرة التي وصلها في عام 1663 ، ومكث في القاهرة ما يقرب السنتين عاش خلالها في كنف رفائيل جلبي حتى تمكن من جمع مبالغ كبيرة من المال.[50]

وكان سبتاي قد سمع وهو في القاهرة عن فتاة يهودية اسمها (سارة) عثرت عليها بعض الراهبات بعد مذبحة جميلينكي عام 1648 [51] ،كانت قد ادعت بأنها رأت في المنام رؤيا مفادها ان المسيح سوف يظهر وسوف يقوم بالزواج منها[52]

لذلك رأى سبتاي ان قيامه بالزواج من هذه الفتاة سيكون مكملاً لخطته في اعلان نفسه مسيحياً مخلصاً لليهود وان زواجه منها هو تقليد للنبي هوشع الذي جاء عنه في العهد القديم ما نصه ((اول ما كلم الرب هوشع : قال الرب لهوشع اذهب وخذ لنفسك امرأة زنا لان الارض قد زنت زنى تاركة الرب)) وجاء هذا في السفر ايضاً ((وقال الرب اذهب ايضاً واحبب امرأة حبيبة رجل وزانية) ، اما سبب استخدام سبتاي لهذه النصوص وذلك من اجل تبرير زواجه من هذه الفتاة صاحبة الرؤيا ، التي كانت معروفة باستغلال جمالها من اجل استغلال الرجال عن طريق اقامة العلاقات غير الشرعية اما فيما يتعلق باليهودية (سارة) فقد وافقت على طلب سبتاي بالزواج منها دون تردد ، فتم جلبها إلى مصر واحتفل بزواجهما في قصر وعلى نفقة رافائيل جلبي عام 1664 [53] .

في هذه المدة تناهى الى مسامع رافائيل جلبي ان حاخاماً في غزة اسمه (ابراهام ناثان) له معرفة عميقة بالقبالة ، يأتي اليه الناس فيكشف لهم عن امراض نفوسهم ويخبرهم عن عيوبهم ويصف لهم طريقة اصلاحها حتى وصفه الذين التقوا به بأنه نبي ، وقد ذكر عن ناثان هذا انه كان حاخاماً موهوباً يحفظ التلمود عن ظهر قلب ، لهذا ارسل رفائيل جلبي رسلاً لمعرفة حقيقة الحاخام ناثان لما له من اهتمام بعلم القبالة ، وكانت الرسل التي ارسلها رفائيل لمقابلة ناثان قد اعجبت وآمنة بإمكانيات ناثان وكان من بين هؤلاء الرسل الحاخام صموئيل غندور الذي كان يعيش في كنف رفائيل جلبي حيث اعجب بناثان الى درجة وقوعه تحت تأثيره وأصبح فيما بعد صاحبه في حلة ترحاله لسنين طويلة . (54)

وما أن علم سبتاي بخبر ناثان حتى عزم بالذهاب اليه والتعرف عليه والاجتماع به وعرض حالته النفسية عليه لإيجاد علاج لها ، وعندما وصل سبتاي الى غزة ورأه ناثان خر الأخير أمام سبتاي ساجداً وطلب أن يغفر له لأنه لم يقدم له ما يستحق من احترام عندما مر بغزة في طريقه الى مصر ، ومنذ اللقاء الاول ارتبط الاثنان بعلاقة روحية قوية وأصبح ناثان فيما بعد نبي الحركة السبتائية والمدافع عنها والمنظر لها حتى نهاية حياته ، وقد كان عمر ناثان آنذاك لا يتجاوز اثنتين وعشرين سنة ، اذ قام ناثان بإخبار سبتاي بأنه يملك نفساً في منتهى العلو والسمو ، وهو ليس بحاجة الى شيء من الاصلاح وأنه في الحقيقة هو المسيح ، وقد فسر حالة الكآبة التي يمر بها سبتاي على أنها المعاناة التي يمر بها المسيح المخلص وخلال الايام اللاحقة اخذ الاثنان يختليان لوحديهما في كثير من الاحيان ، ثم سافرا الى القدس والخليل وكان ناثان اثناءها يحاول اقناع سبتاي بأنه المسيح بناء على رؤيا رآها وأشياء اخرى حدثه عنها ثم رجعا سوية الى غزة . (55)

لم يكن سبتاي قد أعلن للعالم بعد بأنه المسيح وقد كان ادعاؤه حتى ذلك الوقت محصوراً بين عدد قليل من الناس ،وذلك لخوف سبتاي ان اعلان نفسه مسيحياً سيؤدي إلى فشل دعوته ، ويبدوا ان ناثان قد أقنع سبتاي بان الوقت قد حان ليعلن للعالم بأنه المسيح ، وان سبتاي كان قد أنهى استعداداته للاعلان عن نفسه مسيحياً مخلصاً لليهود بأكثر من طريقة اعتقد بأنها ستكون مؤثرة في الناس . ففي ليلة عيد

(الشفعوت) اليهودي من ربيع عام 1665 ، دعا ناثان مجموعة من طلاب الشريعة وبعض الحاخامات من اجل ان يحيوا الليلة معه لدراسة التوراة ، وفجأة عندما كانوا يدرسون نام ناثان نوماً عميقاً ثم بعد ذلك قام ووقف على قدميه وأخذ يمشي في الغرفة ذهاباً وإياباً ويقرأ نصوصا طويلة من التلمود ثم طلب من طلابه ان يقوموا بالغناء فأخذ يقفز ويرقص ثم قفز قفزة كبيرة سقط على أثرها مغماً عليه ولما فحصوه شكوا في انه قد مات فوضعوا منديلاً على وجهه كما يفعل مع الانسان الميت . (56)

ولكن ما ان مرت مدة من الزمن حتى سمعوا صوتاً خافتاً يخرج من فم ناثان دون أن تتحرك شفتيه ثم نطق وقال ((اعتنوا بابني المحبوب ومسيحي سبتاي زيفي واعتنوا بابني ناثان النبي)) ، وعندما سأله الحاضرون بعد استفاقته عن ما قاله أخبرهم بان سبتاي هو الملك والمسيح المخلص . (57)

ومن أجل اتقان الخدعة أعلن ناثان بعد ايام بانه عثر على ورقة في جرة كانت مخفية في كهف ، وهذه الورقة هي جزء من رؤيا كان قد رأها حاخام اسمه (ابراهام) عاش في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، والتي ذكرها في كتاب اسمه (حكمة سليمان الكبرى) وقال ناثان ان نصاً عن سبتاي جاء في هذه الرؤيا وهو ((ان ابناً سيولد لمردخاي زيفي عام 5387 (بالتقويم العبري) (1626م) ويسمى سبتاي زيفي وسيكون مسيح الحق وسيجلس على عرشي ، وتكون مملكته أبدية وخلاص بني اسرائيل على يديه)) . (58)

على الرغم مما ذكره ناثان كان في الحقيقة هو ليس جزءاً من الرؤيا وانما كانت من وضعه هو ، الا ان لا أحد من الحاخامات والعلماء الذين أخبرهم كانت لديهم الجرأة لأن يسألوه أو يستفهموا منه ، وعلى أثر ذلك اعلن سبتاي بانه المسيح وكان هذا هو الاعلان الرسمي عن مهمته وكان هذا قد حدث بين 14 – 17 من الشهر العبري سيوان ، الذي صادف 28–31 مايس عام 1665 . (59)

لذلك فأن يوم السابع عشر من سيوان يعد من الأعياد المهمة عند الدونمة لأنه يعد بداية مهمة المسيح المخلص سبتاي ، وبعد هذا اعلن ناثان النبي بأن الأحداث تسير بسرعة وان على الناس ان يعلنوا توبتهم والا فانهم سيعذبون ويلعنون

لعنة دائمة . وان ناثان قام بوضع تعليمات للتوبة في النهار والليل وشاع الخبر بين الناس وأخذوا يتوبون بشكل جماعي وعلني ، وقد اتخذت طرق التوبة أشكالاً مختلفة ومتعددة ، فقد كان بعض هؤلاء التائبون يتجردون من ملابسهم ويحفرون حفراً في فناءات بيوتهم ويدفنون أنفسهم الى رقابهم الى أن تأثرت أجسامهم بذلك كما كانوا يرمون أنفسهم بالمياه المتجمدة في الشتاء ، ومنهم من كان يواصل الصوم سبعة ايام متواصلة مما أدى الى هلاكه ، وان البعض منهم أخذ يصب الشمع الساخن على جسده وغيرها من طرق التوبة التي تجهد النفس والبدن . (60)

كان هؤلاء التائبون يأتون الى ناثان النبي من كل مكان ليتوبوا على يديه ويسمعون الاخبار منه ، حتى ضاقت بهم المساكن فأخذوا يباتون في الاسواق والشوارع ، وان النساء صغاراً وكباراً كانوا يصومون حتى النساء الحوامل بل حتى النساء حديثات الولادة . (61)

قام ناثان بالخروج من غزة الى الخليل وبرفقته المئات من اليهود ليعذبوا أنفسهم بالثلج ، وذلك لعدم وجود الثلوج شتاء في غزة ، قام ناثان وأتباعه بالتدحرج على الثلج تعبير عن توبتهم ، وكان المسلمون ينظرون الى هؤلاء بعين العجب لغرابة أفعالهم ، وهذا ما دفع الحاخامات المعارضون لسبتاي لفعل ما يفعله أتباع سبتاي حتى لا يصيبهم الأذى من قبل انصار سبتاي. (62)

اكتض كنيس غزة باليهود الذين كانوا يشعلون الشموع ويقرأون التواشيح فرحاً بظهور ملكهم سبتاي الذي سيأخذ تاج السلطان العثماني ويضعه على رأسه ، وأخذ هؤلاء يطلقون على ناثان (النور المقدس) وعلى سبتاي (اميراة)(63)

هذه الاحداث دفعت ببعض الحاخامات بالتوجه الى غزة لرؤية ناثان والاستماع له ومعرفة ما يجري ، وكان من هؤلاء حاخام معروف من امستردام اسمه (شالوم بن يوسف) الذي اعجب بعلم ناثان حتى قال عنه ((ان الناس يأتون من بعيد ليستمعوا الى حكمته وكلهم يمدحونه ويقولون عنه انه يتكلم بروح إلهية)) وعندما كان بعض الحاخامات يطلبون من ناثان آية أو كرامة دليلا لصدق دعوى سبتاي كان يرد عليهم بأنه غير مسموح له أن يقوم بذلك وان عليهم ان ينتظروا حتى تتحقق

هذه الآية ، وأحياناً كان يرد عليهم بأن ليس من الضروري ان يظهر سبتاي كرامة أو معجزة لهم . (64)

أما فيما يتعلق بسبتاي فقد توجه من غزة الى القدس بصحبة عدد كبير من أتباعه ، وكان من بين من رافقوه ممثلوا قبائل بني اسرائيل الاثنتي عشر الذين اختارهم في غزة ، كما عين الحاخام (يعقوب نجاراً) رئيساً لكهنة الهيكل ، وأعلن سبتاي في زيارته هذه بأنه سيقوم بتقديم الأضاحي في القدس ، وهذا ما اثار خوف الحاخامات المعارضين له من اغضاب المسلمين ان ذهب سبتاي وعمل ما يجول في خاطره في مسجد قبة الصخرة ، مما دفع سبتاي الى تغيير رأيه بعد ان ضرب كفاً بكف وقال ((يا ويلاه انه كان قريباً ، والآن أصبح بعيداً)) ، ويمكننا تفسير قوله هذا بأن الخلاص كان قريباً ولكن عدوله عن تقديم الأضاحي في القدس قد أبعد يوم الخلاص ، وقام سبتاي بالغاء صيام تموز وحلل لأتباعه بعض ما حرمته الشريعة اليهودية أكله . (65)

أثارت تصرفات سبتاي الأخيرة امتعاضا وقلقا من قبل الحاخامات الرافضين له ولدعوته مما دفعهم الى شكوته لدى القاضي معلنين ذلك ان سبتاي كان رجلاً طالب حكم ليس اكثر، واتهموه ايضاً بسرقة بعض الأموال التي جمعها ليهود القدس ، الا ان القاضي لم يصدر أي حكم بحق سبتاي ، بل انه اجاب طلب سبتاي عندما طلب منه بالسماح له بالطوف في القدس على حصانه ، وهذا ما قام به فعلاً سبتاي اذ انه ارتدى جلباباً أخضر وطاف بالمدينة سبع مرات برفقة بعض اتباعه ، وهذا ما دفع حاخامات القدس بالكتابة الى حاخامات غزة يحذرونهم من التصديق والايمان بسبتاي وطلبوا منهم الابتعاد عن سبتاي خوفاً من السلطان العثماني من خلال قولهم ((لئلا نكون جميعاً مذنبين أمام السلطان)) . (66)

لم يكتف حاخامات القدس بمراسلة حاخامات غزة ، بل اصدروا قراراً بطرد سبتاي من اليهودية (حرم) وطرده من القدس على ان يتركها خلال ثلاثة أيام ، وقد أعلم هؤلاء رئيس الحاخامات في اسطنبول بقرارهم هذا ، كما عمموا على الجاليات اليهودية قرار الطرد هذا ، بل تجاوزت دعوات بعض الحاخامات أمر الطرد الى القتل ، اذ جاء في رسالة رئيس الحاخامات ما يحرض على قتل سبتاي ويشجع

عليه اذ قال : ((ان هذا الرجل نشر كثيراً من البدع وان كل من يقتله سينقذ كثيراً من الناس ، وان اليد التي ستضربه ستكون مباركة من قبل الرب والناس)) . (67)

ومع ان الغالبية العظمى من الحاخامات كانوا معارضين لادعاء سبتاي ورفضهم له الا انه كان هناك من صدق به من الحاخامات وأتبعه ، وكان على رأسهم الحاخام (صموئيل فريمو) الذي أصبح أقرب المقربين له وكاتم اسراره وكاتبه الخاص ، فضلاً عن الحاخام (موسى غلانتة) ، وعالم القبالة المشهور الحاخام (بنيامين هاليفي) الذي كان يعيش في صفد والذي كتب الى أحد اصدقائه قائلاً : ((أما بالنسبة الى موضوع الخلاص فان سبتاي هو ملكنا)) . (68)

اضطر سبتاي لمغادرة القدس وكان ذلك في تموز عام 1665 ، وكانت وجهته هذه المرة الدولة العثمانية ، فخرج من القدس الى صفد أولاً ويبدوا ان سبب توجهه الى صفد هو لرؤية الحاخام (اسحق لوريا) مؤسس احدى مدارس القبالة المهمة ، اذ كان سبتاي يجله ويعظمه ، ومن صفد توجه الى دمشق وفيها احاط به الكثير من المؤمنين به ، وكان من بينهم (صموئيل فايتال) ابن الحاخام المشهور (حاييم فايتال) احد علماء القبالة المشهورين الذي أصبح من اتباعه فيما بعد.(69)

ومن دمشق سافر الى حلب وعند وصوله الى هناك لقي من الترحيب والحفاوة والتكريم من اليهود ما يليق بالملوك والفاتحين بل وكان في مقدمة المرحبين به حاخامها الأكبر ، وكان قد سبق وصول سبتاي الى حلب وصول رسالة من نبيه ناثان الى أهالي حلب يحذرهم فيها بأن لا يعاملوا سبتاي كما عامله يهود القدس ، وان لا يرتكبوا الخطأ نفسه الذي أرتكبه اولئك اذ جلبوا لأنفسهم اللعنة ، استغل سبتاي وجوده في هذه المدينة من اجل اقناع أكبر عدد ممكن من حاخاماتها بأنه المسيح المخلص اذ مكث فيها حوالي ثمانية وعشرين يوماً ، اذ قرر بعدها الرحيل رغم طلب الجالية اليهودية فيها منه البقاء الا انه لم يستجب لرغبتهم وقال لهم بأنه في عجلة من أمره ليذهب الى أزمير ليصل اليها قبل الوقت المحدد لتحقيق الخلاص . (70)

كانت اخبار توجه سبتاي الى أزمير قد سبقته اليها ، وعند وصوله استقبلته اليهود استقبال الملوك وهم يهتفون عاش ملكنا عاش نبينا ، ففي الفكر اليهودي الديني ان المسيح ليس نبياً فحسب بل هو ملكاً في الوقت نفسه ، وبهذا سيجمع في

يديه السلطتين الدينية والدنيوية ، بعد هذا نزل سبتاي في بيت أخيه (الياهو) ، وكان حاخامات أزمير قد تلقوا قبل وصول سبتاي رسالة بأن حاخامية القدس قد قامت بطرد سبتاي من المدينة ، ولكن رغم علمهم لم يتمكنوا من فعل شيء كون الامور كانت قد خرجت من أيديهم اذ أصبح سبتاي ذ ا نفوذ وشعبية كبيرة بين عامة اليهود . (71)

فقد أصبح الدعاء له في المعبد اليهودي ليس على انه المسيح فقط بل على انه ملك اسرائيل ، وكانت الرسائل التي ترسل اليه تضفي عليه هذه الصفة ، اذ كان الدعاء الذي يدعى به له في معبد هامبورغ اليهودي على الشكل التالي ((اللهم يا ناصر الملوك وصانع الامراء بارك لنا حاكمنا الملك الصالح سبتاي زيفي مسيح رب يعقوب)) ، أما الدعاء الذي كان يقرأ في المعابد اليهودية في الدولة العثمانية ، والذي حل محل الدعاء للسلطان العثماني فقد كان على الشكل التالي ((ان الذي يمنح الخلاص للملوك والحكم للامراء ، مالك الملك الأبدي ، الذي خلص عبده داود من السيف القاتل ، الذي يعبد طرقاً في البحر ... هو الذي يبارك ويحفظ ، ويرعى ويرفع الى الأبد سيدنا ومسيحنا ، مبارك رب يعقوب الاسد والايل السماوي ، مسيح العدل ، ملك الملوك السلطان سبتاي زيفي ، ليحفظه الملك الاكبر ويمنحه الحياة وليرعه ويرفع نجمه ومملكته ، ويجعل قلوب الملوك والامراء تتجه نحوه ونحونا ونحو اسرائيل بالخير آمين)) . (72)

قام سبتاي بتقسيم الارض وعين لها ملوكاً من اليهود المقربين منه ، فأحدهم كان يمثل داود والاخر مثل سليمان والاخر عزيا والآخر يهوشفاط ، وهكذا بالنسبة الى أخويه فقد عين الياهو زيفي ملك ملوك اسرائيل وآخاه يوسف ملك ملوك يهودا ثم عين لكل واحد منهم نائباً ، وأطلق على زوجته سارة لقب (ملكة فلسطين) (73) ، كما قام باعطاء بعضهم وثائق مكتوبة تنص على تعيينهم ، ومن طريف ما يذكر عن أكاذيب سبتاي ان قام بتعيين أحد الفقراء الذي كان يعيش على الصدقات واسمه (ابراهام ربيو) أحد هؤلاء الملوك ، فجاء أحد الأغنياء على هذا الشخص فعرض عليه مبلغاً ضخماً لكي يتنازل عن مملكته المفترضة ، لكن ابراهام ربيو رفض هذا العرض المغري ، وكان سبتاي في هذه المرحلة يوقع رسائله بالقاب عدة منها (ابن

الله البكر) و (ابوكم اسرائيل) و (انا الرب الهكم سبتاي زيفي) ، وقد أثارت هذه الالقاب وخصوصاً اللقب الاخير اليهود المعارضين له ، ولكنهم لم يكونوا قادرين على فعل شيء ، أما من جانب أتباعه فقد أخذ يؤرخون التاريخ بالسنة التي ظهر فيها سبتاي كمسيح مخلص ، ومثال ذلك وضعهم على بعض الكتب التي طبعت في هذه المدة عبارة ((السنة الاولى من تجديد النبوة والمملكة)) الى جانب عبارة ((سبتاي زيفي ملك اسرائيل مسيح الرب يعقوب)) . [74]

اظهر سبتاي في هذه المرحلة سلوكاً معادياً لكل من اضطهد اليهود من وجهة نظره ، اذ نراه قد بدأ بارسال الرسائل الى اليهود المنتشرين في كل بقاع العالم مبشراً لهم بأنه سيقوم بالثأر لليهود من كل أعدائهم ، وانهم سوف يحكمون العالم من دولتهم التي ستنشأ قريباً ، وان النصر قادم لا محالة ومن هذه الرسائل ما كتبه الى يهود بولندا والتي جاء فيها ((قريباً سأثر لكم وأسليكم كما تسلي الام ابنها وسأعوضكم مائة ضعف عن العذابات التي قاسيتموها وان يوم الثأر قريب وقد قربت سنة الخلاص)) . [75]

وهذا ما أدى باليهود الى الاندفاع وتهديد خصومهم وخصوصاً من المسيحيين ، اذ قال بعض المسيحيين في اسطنبول ((ان هؤلاء أتباع سبتاي قد هددونا وحذرونا من كارثة رهيبة ستحدث لنا اذا لم ننظم اليهم في أسرع وقت برغبة منا ومن أجل مصلحتنا ، وان علينا أن نذهب الى الملك (سبتاي) الذي سيحكمهم ونصدق قيام مملكته ونخضع لدينهم وشريعتهم التي ستطبق في العالم)).[76]

صدق اليهود ادعاءات سبتاي ونبيه ناثان وبدأوا ينتظرون يوم الخلاص الموعود ، فتركوا الدنيا وملذاتها ، اذ قاموا بتطهير انفسهم حتى أصابت حياتهم العامة الشلل فتركوا أعمالهم وتجارتهم ، ففي الدولة العثمانية بدأوا يخرجون ليلاً حاملين الشموع ، وينادون باسم سبتاي ، وكانوا ينشدون المزمور الواحد والعشرين في المعبد ثلاث مرات في اليوم صباحاً وعصراً وليلاً ، وكان هؤلاء قد نقشوا هذا المزمور على الخشب في احد المعابد واحيط بتاج كتب عليه تاج سبتاي زيفي . [77]

وفي هامبورغ وأمستردام وبولندا احتفل اليهود في الشوارع مستبشرين بظهور سبتاي وقرب الخلاص على أساس ان ما يقوم به اليهود هو نوع من التحدي . [78]

أما يهود البلاد العربية فلم يكونوا بمعزل عما يحدث فقد كان حالهم حال بقية اليهود في اوربا والدولة العثمانية ، ففي اليمن صدق الكثير من اليهود بأخبار سبتاي وعم الفرح والسرور الجالية اليهودية فيها ، فأخذ يبشر أحدهم الآخر بأن الخلاص بات قريبا ، وأخذ الكثير منهم يبيع أملاكه ، بل البعض توقف عن العمل وتهيأ للذهاب الى فلسطين ، وكان من بين المصدقين بهذه الأخبار شاعر يهودي يمني اسمه (شالوم شبازي) الذي سخر شعره من أجل إثارة عواطف اليهود ومشاعرهم وكانت أشعاره خليطاً من العربية والعبرية دعى خلالها الناس الى التصديق بسبتاي ، وكان من جملة ما قاله ((لقد جاء المخلص ومع النبي الياهو ، فلترتفع أصواتنا ولنذهب الى صهيون بأغانٍ وفرح)) ، وهذا ما أثار غضب أمام اليمن الذي أصدر أمراً بمعاقبة اليهود الذين صدقوا سبتاي لاعتقاده بأنهم يحاولون قلب نظام الحكم ، الا ان هذا العقاب لم يكن رادعاً لليهود والذين استمروا بالاحتفال دون توقف ، مما دفع حاكم احدى المقاطعات باعدام حاخامهم سليمان الاقطع .[(79)]

وفي مراكش وغيرها من حواضر المغرب العربي ، كان الحاخامات على اتصال بناثان للوقوف على اخر التطورات ، وهذا ما أثار خشية الحكومات مما كان يقوم به اليهود ، فمنعتهم وأجبرتهم على التوبة مما قاموا به ، وفي ليبيا كان (لابراهام كردوزو) الذي كان طبيباً وأحد زعماء الجالية اليهودية ، من أكثر اليهود تحمساً لدعوة سبتاي والتبشير بها منذ ظهورها وكان على تواصل تام مع ناثان ، وقد استمر هذا على التصديق بسبتاي حتى نهاية حياته .[(80)]

وكذلك كان حال اليهود في مصر وسوريا ، فقد أخذ اليهود يتوبون بشكل جماعي ، وتوقفوا عن اعمالهم التجارية وأخذوا يتقشفون بملابسهم وبعضهم اخذ يضع تراباً على رأسه تأكيداً على التوبة والندم وأكثروا من الصيام بل وأنشأوا صندوقاً لمساعدة الفقراء.[(81)]

وكان اعتقاد اتباع سبتاي بان خلاصهم الذي يأملونه سيكون خلال سنتين على أكثر تقدير ، وبسبب ذلك كسدت التجارة في المراكز التجارية التي يسيطر عليها اليهود ، اذ كانوا ينتظرون الحدث العظيم ، وذكر جاليوتومنسكي الذي كان معاصراً لهذه الاحداث في كتابه (المسيح الحق) ما نص ((لقد ترك اليهود بيوتهم

واموالهم ورفضوا أن يقوموا بأي عمل وادعوا بأن المسيح سوف يأخذهم الى اورشليم على السحاب)) . [82]

رابعاً : سفر سبتاي الى اسطنبول واعلان اسلامه .

بعد ان استكمل سبتاي استعداداته في ازمير ، اعلن لأتباعه بأنه سيغادر الى اسطنبول ، اذ قال لهم ان الرب قد دعاه ليذهب اليها لاكمال الجزء الاخير والأهم من مهمته ، ويبدوا انه كان يقصد بالجزء الاخير تنفيذ ما تم اشاعته سابقاً بان السلطان محمد الرابع سيقوم بتسليم سبتاي تاج الامبراطورية العثمانية ، ركب سبتاي البحر الى اسطنبول في نهاية عام 1665 مع قليل من أتباعه قاصداً اسطنبول ، وكان قد سبقه اليها عدد كبير من اتباعه عن طريق البر ليكونوا في استقباله هناك ، وكانت الرحلة تستغرق عشرة ايام ولكن لسوء الأحوال الجوية وهياج البحر استغرقت الرحلة اكثر من شهر . [83]

غير ان تحركات سبتاي لم تكن غائبة عن أسماع وأنظار الحكومة العثمانية ، اذ كان الصدر الأعظم (فاضل احمد كوبرلو) على علم بنية قدوم سبتاي الى اسطنبول ، وكان عازماً على سجنه لذلك أمر جنوده بإلقاء القبض عليه ما أن تطأ قدميه اليابسة ، وعند وصول سبتاي توجه اليه مجموعة من الجنود وعندما س ألـه الضابط عن شخصه أجاب سبتاي بانه حاخام يهودي من القدس جاء لجمع الصدقات لفقراء اليهود في فلسطين ، غير ان هذه الخدعة وكما يبدوا لم تنطل على الضابط الذي اعتقله والقاه في سجن صغير ومظلم تنفيذاً لأمر الصدر الأعظم ، الا ان ذلك وكما يبدوا لم يؤثر على أتباعه الذين احتفلوا بقدومه في الشوارع وقالوا بأن حبسه أمر طبيعي لأنه جزء من نبوءته اذ ان المسيح المخلص يجب ان يعاني ويتألم قبل أن يتحقق مجده وتظهر عظمته لجميع البشر ، وفي سجنه هذا بدأ اليهود من اتباعه بالتوجه اليه لزيارته من اجل اظهار الولاء له ، وبقي على هذه الحال طوال مدة بقائه في هذا السجن التي استمرت لمدة شهرين.[84]

ولما كان الصدر الأعظم على وشك الذهاب في حملة عسكرية ، وكان السلطان محمد الرابع وقتها في مدينة ادرنة ، رأى بأنه ليس من الحكمة ابقاء سبتاي في العاصمة مع وجود هذه الاضطرابات بين اليهود ، لذا قام بنقله الى قلعة في

جزيرة غاليبولي على الدردنيل التي غالباً ما كانت تأوي السجناء السياسيين ، وقد اطلق اتباع سبتاي فيما بعد على هذه القلعة (مجدل عز) والتي تعني بالعربية (برج القوة) . (85)

لم يتوقف سبتاي حتى في سجنه عن ألاعيبه ، فمن سجنه هذا كان يعد الوافدين عليه من اتباعه بالنصر القريب ، ويطلب منهم التوبة ويحثهم على الصبر ويمنيهم بالكثير عندما يذهب منتصراً الى فلسطين ، ومن سجنه هذا أخذ يشرع بعض التشريعات الجديدة ، وكان منها الغاء بعض أيام الصيام المهمة عند اليهود مثل الغاء صيام (العاشر من شهر طبت) (86) ، وكذلك الغاء صيام اليوم السابع عشر من تموز ، بل حتى صيام اليوم التاسع من اب وتحويله الى يوم عيد اذ أصبح هذا اليوم عيداً لميلاده . (87)

وفي سجنه أخذ اتباع سبتاي يؤكدون بانه المسيح حقاً لان الحكومة العثمانية لم تتعرض له بأذى مع أنه كان قد ادعى بأنه سيأخذ السلطان العثماني أسيراً ، وجاء اليه اليهود من أغلب انحاء العالم حتى ازدحمت البواخر التي تنقلهم بشكل لم يحصل مثله من قبل ، فكانت هناك طوابير من المراكب ذاهبة الى السجن مما أدى الى ارتفاع اجور المراكب واسعار الطعام واجور السكن ، وأخذ حراس السجن يأخذون الرشوة من اجل تسهيل زيارة سبتاي مما عاد عليهم بالريع الوفير ، كما أخذ أثرياء اليهود يتبرعون له بأفضل انواع الملابس ، ويرسلون له الهدايا الغالية والثمينة كما تبرع له أخوه بأموال كثيرة ، كما قاموا باعطاء الرشوة للمسؤولين عن حراسته من اجل ان يوسع عليه ويرفه عنه ، لذلك سمح لزوجته وكاتبه الخاص (صموئيل فريمو) ان يتخذا لهما سكناً معه حتى أصبح له مجلس كمجلس الامراء ، وأخذت زوجته تسلك سلوك الأميرات مع القادمين عليها والقادمات . (88)

كان من بين الذين قدموا لمقابلته في سجنه حاخام يهودي معروف بين اليهود اسمه (نحميا كوهين) الذي كان قد ادعى بأنه المسيح ابن يوسف ، غير ان زيارته هذه كانت الغاية منها ليس لتأييد سبتاي وانما لمناقشته في موضوع المسيح المخلص وشروط ظهوره ، وقد بقي نحميا كوهين مع سبتاي في السجن لثلاثة أيام ، قضاها وسبتاي بالنقاش في شروط ظهور المسيح المخلص وأوصافه في ضوء المعتقد

اليهودي ، وكان رأي نحميا كوهين الذي توصل اليه بعد هذا النقاش لا يختلف عن رأي الحاخامات المعارضين لسبتاي ، الا ان الفرق الوحيد هو ان نحميا كوهين كان أجرأ من غيره من الحاخامات اذ التقى بشكل مباشر بسبتاي واطال معه النقاش الذي خرج منه بنتيجة ان مواصفات وشروط المسيح المخلص لبني اسرائيل لا تنطبق على سبتاي ، وهذا ما هدد حياته اثناء وجوده في سجن سبتاي خوفاً من بطش أنصار سبتاي به ، لهذا تظاهر باعتناق الاسلام من اجل حمايته من حراس السجن حتى خروجه وهذا ما حدث اذ انه ارتد عن اسلامه بعد نجاحه بالخروج من القلعة . [89]

لم ينته الامر عند هذا الحد فقد عقد نحميا كوهين العزم على افساد الامر على سبتاي ، وذلك بالذهاب الى السلطان الذي كان يقيم في ادرنه وقتها واخباره عن خطر ما يدعيه سبتاي ، فذهب برفقة بعض الحاخامات المعارضين لسبتاي لابلاغ السلطان عن ذلك فالتقوا في ادرنة (كورو مصطفى باشا) قائمقام ادرنة الذي كان نائباً للصدر الأعظم الذي كان في حملة عسكرية ، واخبروه عن دعوة سبتاي وعن تأويخ حياته وانه رجل فاجر ومنغمس بالملذات ، هدفه تغيير طاعة اليهود تجاه السلطان و التحريض على الثورة ضد الدولة العثمانية ، لذلك كان رأي معارضي سبتاي هو ضرورة التخلص منه ومن شروره ، اما من جانب السلطان العثماني فانه كان قليل العلم بأمر سبتاي ودعوته ، ولكن ما ان علم السلطان بأخر تطورات سبتاي حتى أمر بإحضاره الى ادرنة في اسرع وقت ، وهذا ما ولد نوعاً من الفرح لدى أتباع سبتاي لاعتقادهم ان السلطان قد أرسل لمسيحهم من اجل ان يسلمه الحكم ليحل محله . [90]

نقل سبتاي الى ادرنة اذ كان لسلطان يقضي أكثر وقته ، كان بصحبة سبتاي بعض الحاخامات المؤمنين به واخوه الياهو ، وعند نقله الى قصر السلطان حيث مكان الاستجواب ظهرت علامات الخوف والقلق واضحة على سبتاي وهذا ما أثار استغراب اتباعه المرافقين له ، فهو الذي ادعى انه المسيح المخلص الذي سيحكم العالم بعد ان يستولي على حكم الامبراطورية العثمانية ، وهو الذي قال فيما سبق سيأخذ السلطان العثماني اسيراً ، وهو الآن يرتجف خوفاً من مقابلة السلطان العثماني وحاشيته . [91]

ادخل سبتاي ومن معه الى غرفة كانت معدة لاستجوابه للوقوف على حقيقة أمره ، وكان الحاضرون فيها كل من (كورو مصطفى باشا) قائمقام ادرنه ، وشيخ الاسلام (منقري زادة) و (فاني افندي) امام القصر ، وطبيب السلطان الخاص اليهودي الأصل والمتحول الى الاسلام (حياتي زادة مصطفى فيضي) ، وكان السلطان يجلس وراء حجاب ، والطبيب كان هو المترجم بينهم وبين سبتاي ولما لم تكن إجابات سبتاي مقنعة للحضور ، طلب السلطان ان يختبروا ادعائه وذلك بان يجرد سبتاي من ملابسه وجعله هدفاً للسهام فاذا لم تؤذ جسده سيكون السلطان اول المصدقين به ، وان آذته فهو رجل كاذب ودجال . [92]

وما ان سمع سبتاي اقتراح السلطان حتى انكر ادعا ءه بأنه المسيح وقال عن نفسه انه مجرد حاخام يهودي فقير ولا صحة لما روج عنه من اشاعات ، الا ان السلطان لم يصدق قول سبتاي واتهمه بإثارة القلاقل والاضطرابات في الدولة العثمانية ، فضلاً عن رغبته بانتزاع جزء مهم من الدولة العثمانية والمقصود به فلسطين ، ولذلك يجب أن يعاقب ، ولكن طبيب السلطان اقترح على سبتاي ان يعلن اسلامه ليسلم من العقاب ، وبعد مدة من التفكير وافق سبتاي على مقترح طبيب السلطان وأعلن اسلامه ، وقال انه يتشرف بأن يشهر اسلامه امام السلطان ، فأعلن سبتاي اسلامه أمام الحاضرين وقبل منه السلطان ذلك ، فادخل الى الحمام وابدلت ثيابه ولبس العمامة واعطي اسمه الجديد وهو (محمد أفندي) او (عزيز محمد أفندي) ، ومن أجل ان يحيا حياة كريمة اسندت اليه وظيفة تشريفية في القصر وهي وظيفة (قابجي باشي) (حارس أبواب القصر) ، وخصص له راتب شهري وعين له استاذ يدرسه اللغة العربية واصول الاسلام ، وبعد مدة قصيرة اعلنت زوجته سارة اسلامها امام والدة السلطان وأعطيت اسم (فاطمة قادان) وكان هذا عام 1666 . [93]

من هنا ظهر الى العالم يهود الدونمة ، أي عندما اعلن سبتاي اسلامه بين يدي السلطان محمد الرابع عام 1666 ، وقد انتشر خبر اعلان سبتاي اسلامه بسرعة بين اليهود والمسلمين ، وأصبح اتباعه خاصة واليهود عامة اضحوكة عند غيرهم ، اذ مثل ما حدث صدمة كبيرة لأتباعه وهزة عنيفة لهم لانهم كانوا يتوقعون احداثاً عظيمة عندما يذهب سبتاي الى السلطان ، لكن ما حدث جاء مخيباً

لتوقعاتهم وهو اعتناق مسيحهم الاسلام ، وهذا ما ولد ردود أفعال مختلفة لدى اتباعه والمقربين منه فكثير منهم ارتدوا على اعقابهم ورجعوا الى سابق عقيدتهم ، وآخرون تريثوا ليروا جلية الامر وحقيقته .

أما نبيه ناثان وكاتبه فريمو فقد بدأوا بإعطاء التبريرات لليهود لما قام به سبتاي ، حتى قال ناثان ان سبتاي مازال هو المسيح المخلص وان ما حدث هو سر من الاسرار العميقة لا يعرفها احد وسيكشف عنه في الوقت المناسب ، كما قال ان سبتاي دخل عالم الجوييم (الغرباء) من اجل ان يحطمهم من الداخل ، أما فريمو فقد قال بأن كل شيء حدث كما يجب ان يحدث وكما هو مقرر له ، فإن تظاهر سبتاي بالاسلام يثبت بأنه هو المسيح المخلص كما ان نبي الله (موسى) المخلص الاول قد عاش في قصر فرعون متبعاً دين الفراعنة ظاهرياً ومبطناً ديناً آخر ، فكذلك سبتاي تحول في الظاهر الى الاسلام وباطنياً هو طاهر ونقي [94] ، وكان من التفسيرات التي أطلقها أنصار سبتاي ، ان روح سبتاي وجسده الحقيقيين قد صعدا الى السماء وبقي ظله يمشي على الارض وعلى رأسه عمامة مثل المسلمين ، وسينزل في الوقت المناسب لتحقيق مهمته واظهار العجائب والمعجزات .[95]

أما فيما يتعلق بردود أفعال معارضيه من الحاخامات بعد اعلان اسلامه ، فما ان وصل اليهم خبر اسلام سبتاي حتى تنفس كبار الحاخامات الصعداء ، وعبروا عن سعادتهم لما حدث ، وكتبوا الى الجالية اليهودية في القدس ، اذ قالوا لهم ((بالنسبة الى سبتاي زيفي فاننا لا نريد ان نتحدث عما حصل بالتفصيل ولكن يكفينا ان نقول بأننا وأولادنا يجب ان نحمد الله ونشكره بما لا حدود له على خلاصنا ، وتدخله لدرء خطر كان يحدق بحياتنا)) . [96]

وأرسلوا رسائل اخرى مماثلة الى الجاليات اليهودية وطلبوا فيها الغاء ما شرعه سبتاي من صلوات وصوم واحتفالات وغيرها ، ومعاقبة كل من يستمر على الالتزام بها وتطبيقها ، وطلبوا من الحاخامات ان يطردوا من اليهودية كل من كان مستمراً على الايمان بسبتاي وأخذ بعض الحاخامات الذين صدقوا بسبتاي يتخلون عنه ويعبرون عن ندمهم عما قاموا به وقال بعضهم ((لقد ضللنا كالغنم التائهة ...

ووثقنا بقصبة مكسورة ، ناثان الغزي الذي صدقناه كنبي تبين انه كاذب ودجال)) . (97)

استمراراً لحملات الحاخامات المعادية لسبتاي ، قام هؤلاء في احدى المرات بتزوير رسالة ادعوا انها من كتابة سبتاي ، وأخذوا يوزعونها بين اليهود وقالوا فيها ((ان سبتاي ظهر امامهم واعترف لهم بان حركته المسيحانية كانت خدعة وان ناثان هو الذي لفق هذا الامر عندما اظهر رؤيا الحاخام ابراهام المزورة ، وان سبتاي قال ((انه قد أضلني وخدعني ووضع الكذب على لساني ثم أنا قمت بتظليل الاخرين وخداعهم ، والآن انا عندما افكر في الامر ارى بأن ما قمت به انما سببه روح شر أصابني وان العالم يجب ان يستمر كما هو وعلى الناس ان ينتظروا المسيح المخلص الذي لم يظهر بعد)) . وكانت الرسالة قد وقعت بـ ((أخوكم الاصغر سبتاي زيفي الذي مر بعذابات لا حدود لها)) . (98)

ظل سبتاي يقضي الكثير من وقته في قصر السلطان ، وكان مجموعة من اتباعه قد أظهروا الاسلام كما أظهره هو ، وأخذ أتباعه ومعهم ناثان يطورون فكرة السلوك المزدوج لسبتاي الذي كان يقول للمسلمين بانه لا علاقة له بالمسيح المخلص ، وفي الوقت نفسه يخبر اتباعه والمؤمنين به بان خلاصهم من أيدي الظالمين قريب وما عليهم الا الصبر وانتظار الفرج ، كما كان سبتاي يضع التوراة في يد والقران في اليد الاخرى ، ولكنه عندما يؤدي الصلاة كان يتهيأ لها بطريقة يهودية .

اما عن دعوته لأتباعه لاعتناق الاسلام ، فقد كان يذهب الى الكنيس اليهودي ويطلب من اليهود ان يتحولوا الى الاسلام ، وكانت دعوته هذه تحقق شيئاً من النجاح في بعض الاحيان ، ففي احدى المرات اصطحب معه اثني عشر رجلاً وخمس نساء من اتباعه الى قصر السلطان ليعلنوا اسلامهم ، وهذا ما حصل فقد أعلن هؤلاء اسلامهم امام السلطان ، وفي اليوم التالي ركب سبتاي حصاناً واصطحب معه النساء والرجال الذين اعلنوا اسلامهم وذهب الى الكنيس وخطب في الكنيس خطبة طويلة وقال للحاضرين انهم ان لم يتبعوا الاسلام فانه سوف لا يتمكن من خلاصهم وأخذهم الى أورشليم . (99)

استمر سبتاي في دعوة اتباعه الى الاسلام ، اذ قام بارسال رسالة الى بعض الحاخامات الذين صدقوا به من اجل اعلان اسلامهم ، وطلب هؤلاء بأن يكون هناك مجلس نقاش بينهم وبين سبتاي بحضور الصدر الأعظم ، فإذا أقنعهم فسيتحولون الى الاسلام ، وفي اليوم المحدد للنقاش حضر هؤلاء برفقة سبتاي وأخوه الياهو الى قصر السلطان الذي كان جالساً في غرفة كبيرة وراء حجاب ، وبدأ النقاش بين الحاخامات وسبتاي حتى ارتفعت الاصوات واشتدت المناقشة وكانت النتيجة ان تحول اثنان من هؤلاء الى الاسلام اما البقية فقد فضلوا البقاء على يهوديتهم ، وهذا ما دفع سبتاي إلى الاعتذار للسلطان وأعداً اياه بأن يتحول الباقون الى الاسلام في الايام القادمة . [100]

ويبدوا ان سبتاي كان محظوظاً بعض الشيء اذ تمكن من اقناع بعض أتباعه من اعلان اسلامهم ، اذ نراه كان قد تمكن من اقناع ثلاثمائة شخص على اعلان اسلامهم خلال مدة تقدر بشهرين او ثلاثة أشهر ، وهذا لم يكن مقصوراً على اليهود الموجودين في تركيا وإنما شمل يهوداً من العراق وفلسطين وأماكن اخرى .

وعلى الرغم من تظاهر سبتاي بالاسلام الا انه لم يتوقف عن ممارسة الشعائر والاحتفال بالمناسبات الدينية اليهودية ، ولا بد أن نذكر هنا ان من الاحداث المهمة في حياة سبتاي في هذه ا لمدة ولادة طفل له اسماه (يشماعيل مردخاي) الذي احتفل بختانه طبقاً للشريعة اليهودية . [101]

خامساً : القبض على سبتاي ونفيه .

كما ذكرنا سابقاً ان الحاخامات المعارض ين لسبتاي كانوا قد فشلوا في حمل اتباعه على عدم التصديق به وتكذيبه ، لذلك نراهم قد عزموا على الاتصال بأحد المسؤولين النافذين في الدولة العثمانية ، وهذه المرة وجدوا ضالتهم بشخص (البستاني باشي) قائد حرس القصور والحدائق ، ويقال ان الحاخامات كانوا قد أغروه بمبلغ من المال وطلبوا منه أن يدبر أمر سجن سبتاي فوعدهم بذلك . [102]

وفي أحد الأيام بعد عودة سبتاي من أدرنة الى اسطنبول في عام 1672 مع مجموعة كبيرة من اتباعه الذين أظهروا اسلامهم اخذ سبتاي يؤدي الشعائر اليهودية والاسلامية بحرية ، ولكن وكما نعتقد انه كان مراقباً من قبل الحاخامات

والبستاني باشي ، ففي احدى الليالي القي القبض عليه مع جماعة من أتباعه بتهمة انه كان يتكلم كلام ضد الاسلام وان شهوداً سمعوا ذلك وانه كان يدعوا المسلمين الى التحول الى اليهودية ، بل اتهم بأنه قد حول بعضهم وأخذهم الى الكنيس. [103]

كما قيل انه شوهد مع نساء ورجال من أتباعه وهم يشربون الخمر وينشدون المزامير فأخذ مخفوراً الى أدرنة ، وكان السلطان محمد الرابع والصدر الأعظم احمد كوبرلو باشي في حملة عسكرية وعندما رجعا الى ادرنة وجدا سبتاي مقبوضاً عليه ومرمي في السجن ، ولتأكيد التهمة على سبتاي قام البستاني باشي بترك رسالة ، أكد فيها وجود شهود على أعمال سبتاي التي سجن بسببها وانهم مستعدون للإدلاء بالشهادة في أدرنة واستناداً على هذه الرسالة ارسل على الشهود وسمعت شهادتهم وبناء عليها كان رأي الصدر الاعظم اعدام سبتاي ، فوضع في السجن المخصص لتنفيذ احكام الاعدام ، ولكن الحكم لم ينفذ بسبتاي ، ويمكن ان نعزوا سبب ذلك الى احتمالية تدخل والدة السلطان وفاني أفندي أو ان السلطان لم يكن راغباً بجعل سبتاي زيفي يحظى بمنزلة الشهادة عند أتباعه . [104]

استبدل حكم الاعدام الذي صدر بحق سبتاي بالنفي الى مدينة (اوكلون) في البانيا [105] ، وكان هذا في صيف عام 1673 ، هذا وقد رافق سبتاي في منفاه عدد من العوائل من أتباعه فضلاً عمن التحق به فيما بعد ، ورجع هؤلاء الى سلانيك بعد وفاته ، ومن منفاه استمر سبتاي بالاتصال عن طريق الرسائل بأتباعه ، وكان ناثان لا يكف عن الاتصال به وبأتباعه وكان يعدهم بقرب انتصار المسيح وكان هؤلاء يصدقونه ويثقون بما يقول . [106]

في عام 1674 توفيت زوجته سارة ، وفي العام نفسه تزوج سبتاي ابنة حاخام معروف من سلانيك وكان مؤيداً له ويدعى (يوسف فيلوسوف) وكان من أتباع سبتاي المخلصين ، الذين أظهروا الاسلام وسمى نفسه (عبد الله غفور) ، ومن الجدير بالذكر ان سبتاي لم يتعض من نفيه الى البانيا اذ استمر فيها بممارسة دجله ودعوته ففي عام 1676 ، ارسل الى اتباعه في صوفيا رسالة تقمص فيها دور نبي الله موسى (عليه السلام) ، كما قام بصناعة أفعى من الفضة ووضعها على عمود عند احتفاله بعيد الفصح تشبيهاً بالنبي موسى (عليه السلام) . [107]

توفي سبتاي في 30 أيلول 1675 ودفن في مكان قرب البحر اختاره هو بنفسه في وقت سابق ، ويؤكد أتباع سبتاي بأنه مات في وقت صلاة النعيلاة ، وطبقاً لما تذكر الروايات اليهودية فان موسى (عليه السلام) مات في هذا الوقت أيضاً . [108]

أما تعليق ناثان على موت سبتاي ، فانه كان يرى ان سبتاي قد دخل في مرحلة الغيبة وليس الموت ، وأخذ يخبر المؤمنين بسبتاي بأنه قد غيب جسداً وروحاً في يوم الغفران وقت صلاة النعيلاة ، وقد احيط بالجلال وان كل من يعتقد بأن سبتاي قد مات مثل بقية الناس وان روحه قد رجعت الى الرب فانه يقترف ذنباً عظيماً ، بل ان بعض اتباع سبتاي قد ذهبوا أبعد مما ذهب اليه ناثان ، اذ قال بعضهم ان غياب سبتاي او موته هو سر من أسرار مهمة المخلص حتى الملائكة في السماوات لا يعرفون هذا السر . [109]

استمر ناثان بدعوته لسبتاي بعد موت الأخير في خطبة في الكنيس ، وان سبتاي هو المسيح الحق وسوف لا يظهر غيره ، وأخذ يضيف بعض الأدعية والتواشيح التي تمجد سبتاي وتعلي من شأنه ، اذ كان يقول ان من يذكر سبتاي حتى لو كان ذلك بالقصص فانه يقوم بعمل مقدس ، واستمر ناثان على القول برجعة سبتاي وتخليصه اليهود حتى وفاته عام 1680.[110]

سادساً : تعاليم الدونمة وتقاليدهم .

كما أسلفنا سابقاً ان الدونمة يتميزون في انهم يظهرون معتقداً ويخفون آخر ففي المجتمعات الاسلامية يذهبون الى المساجد لأداء الصلاة ، فضلاً عن صيامهم شهر رمضان بل حتى منهم من يذهب لأداء فريضة الحج ، غير ان العبادة الحقيقية والتي هي مخفية تكون في معابدهم الخاصة بهم والتي لا يمكن لغيرهم دخولها وعادة ما تكون هذه المعابد وسط أحيائهم كي لا تلفت انتباه الاخرين من خارج ديانتهم ، وللحفاظ على سريه هذه المعابد عمد الدونمة الى عدم تزينها او تميزها كما هو الحال في معابد اليهود او مساجد المسلمين أو كنائس النصارى ، وغالباً ما يكون المعبد هو أحد منازل أغنيائهم ، ولابد من وجود عشرة اشخاص بالغين لأداء صلاة الجماعة . [111]

وهم لا يضعون في الصلاة (تفلين) [112] ، ولا يضعون (الطاليت) [113] وكلاهما مما يستعمله اليهود في الصلاة ، ولكن صلاة الدونمة تشبه صلاة اليهود كثيراً ولكنهم يبدلون العقائد الثلاث عشرة بعقيدتهم في سبتاي ، والذي يؤم صلاتهم احد رجال الدين ، وان الدونمي يتميز بإسمين الاول اسم يستعمله في المجتمع الذي يعيش فيه ، وهو الاسم الاسلامي ، والاخر وهو اسم مخفي يعرف به بين افراد فرقته وهو اسم يهودي ، وفي اعتقاد الدونمة ان هذا الاسم الذي سوف ينادون به في الجنة [114] .

ومن تقاليدهم أيضاً انهم لا يتزوجون الا فيما بينهم وهذه احد التعاليم المهمة عندهم ، فهم لا يتزوجون من غير اليهود ، ولا يتزوجون من اليهود اذا لم يعتقدوا بسبتاي ، وهم في الغالب يتفقون على زواج اولادهم عندما يكون هؤلاء في بطون امهاتهم ويعتقدون بأن المرأة اذا تزوجت من غير الدونمة فانها تذهب الى النار ، ويكون الزواج عادة في يوم الاثنين والخميس وعقد الزواج يتم بحضور رجل الدين منهم ، وعند بعض فروعهم يذهب الزوج والزوجة ورجل الدين الى قبر أحد أئمتهم ويركع امامه ويقبله وبعد مدة طويلة من الصلوات والأدعية يترك الزوج والزوجة وحدهما ثم يقرأ الزوج صلاة طويلة تسمى صلاة (الوصال) ، وعندما ينتهون من مراسم العقد على طريقتهم الخاصة ، يذهبون في اليوم التالي الى قاضي المسلمين لاجراء العقد طبقاً للشريعة الاسلامية . [115]

أما الختان فهو واجب عندهم وكما ذكرنا سابقاً فهو في يوم الثامن من آب كما هو عند اليهود ، ولكنهم غير ملزمين بالتقييد بهذا اليوم ، ويوم السبت لا يع د عطلة عندهم ويحاولون تجنب العمل فيه ، ويع د ابتداء الدونمة بالتحية لمن هو من غير الدونمة ذنبا ، لذلك فهم لا يبدأون بالسلام على غير الدونمة ، ولهم يوم في السنة يعترفون فيه بذنوبهم ويلبسون له ملابس خاصة ، وفي الارث يكون للمرأة مثل حض الرجل . [116]

وعندما يكون أحدهم على فراش الموت فانه يجلس أقرباءه والمقربين منه حوله مع أحد رجال الدين يصلون ويقرأون الأدعية ، وعند الوفاة تغسل الجثة من قبل الرجال بغض النظر عن الجنس ، أي بمعنى اخر يجوز عندهم ان يقوم الرجال

بغسل جثة الانثى ، ووجود الورد ضروري في مراسيم الجنازة لديهم ، وللدونمة مراثٍ شعرية لأمواتهم كالعرب وغيرهم ، وهو يعتقدون انهم وحدهم الذين يبعثون يوم السبت في يوم القيامة ويقودهم رجال دينهم وهم يحملون أعلاماً خضراء والآخرون يحملون أعلاماً ذات الوان مختلفة ، أما بقية البشر من وجهة نظر الدونمة فانهم لا يبعثون من قبورهم كما انهم وحدهم الذين يدخلون الجنة.(117)

وهم لهم مقابرهم الخاصة عندما كانوا في سلانيك ، وكذلك في تركيا اليوم وقد أزيلت تلك المقابر التي في سلانيك منذ سنين حيث بنيت عليها احدى الجامعات ، واليوم لديهم مقبرة مشهورة في اسطنبول في مكان يعرف بـ (وادي البلابل) وتسمى من قبل الآخرين بمقبرة سلانيكلر (الذين هم من سلانيك) ، وكانت أسماء أمواتهم تكتب على القبور بالحروف العربية ولكن بعد عام 1928 بعد أن غيرت الحروف الى اللاتينية اخذت الاسماء تكتب بها ، ويكتب تاريخ الولادة بالهجري اما تاريخ الوفاة فيكتب بالتاريخ الميلادي ، وهم كثيراً ما يضعون على القبر حجراً وهي عادة يهودية اعتقاداً بان الحجر تعويذة لضرب الشر ، وتوجد على بعض قبورهم عبارة ((انا مشتاق للرب الذي أحبه وهنا أنا أنتظره))(118)

ومن عادة الدونمة أو بعض فرقهم انهم يرسلون النساء والأطفال الى البحر او النهر لانتظار قدوم سبتاي في السفينة والكبار منهم يقفون كل صباح عند أبواب منازلهم يحدقون في الافق انتظار لقدوم مخلصهم سبتاي وينادون باللادينو بصوت عالٍ (نحن بانتظارك) . (119)

وهم في الصبح يغسلون وجوههم للصلاة ، وصلاتهم لا تختلف كثيراً عن صلاة اليهود سوى انهم يضيفون لها صلوات تتعلق بسبتاي وفي المساء يجتمعون في ساعة خاصة رجالاً ونساء للعبادة ، وهم يدرسون المزامير والقبالة بكثرة ، فضلاً عن اهتمامهم بدراسة رسالة ألفها سبتاي عنوانها (رازادي مهيمنوتا) (سرالعقيدة) ، وغالباً ما يضاء مكان العبادة بنور أخضر ، ويعتقدون ان من بينهم اشخاص أولياء لا تقربهم النار في هذه الدنيا ، لذلك فهم يضعون في بيوت هؤلاء ممتلكاتهم الثمينة ، وكتب صلواتهم صغيرة الحجم ، وذلك من أجل سهولة اخفائها وهي الطريقة نفسها التي اتخذها (المرانوس) . (120)

وللسمكة أهمية خاصة عندهم ، وقد يكون سبب ذلك ما قام به سبتاي من وضع السمكة في المهد ، لذلك فهم يضعون تمثالاً أو صورة لها في بيوتهم ، وكانوا عند الزوج يرسمون صورة السمكة على عتبة الباب لتجتازها العروس أملاً في الحصول على عدد كبير من الأولاد ، واذا أباح الدونمي بأسرار فرقته فانه يستحق الموت لخيانته ، ولا يتقاضى الدونمة عادةًً في محاكم المسلمين ، بل عند حاخاماتهم . (121)

سابعاً : انقسام يهود الدونمة .

ظهرت بوادر الخلاف من ثم الانقسام بعد وفاة سبتاي زيفي مباشرةً ، وقد تركز الخلاف حول احقيت من يمثل سبتاي بعد وفاته ، وكانت اولى علامات هذا الانقسام عندما اعلن (يعقوب فريدون) صهر سبتاي بأنه هو الخليفة الشرعي لسبتاي ، فرفضت مجموعة من الدونمة هذا الادعاء فانفصلت وأصبحت فرعاً مستقلاً ، ثم انشقت مجموعة اخرى بعد سنوات وادعى زعيمها بأنه هو الخليفة والممثل الشرعي لسبتاي ، وبهذا انقسمت الدونمة الى ثلاث فرق وأصبح لكل فرقة اسمها الخاص بها ، ولكن على الرغم من الاختلاف بين هذه الفرق الثلاث الذي طال حتى الممارسات الدينية الا ان المعتقد الاساسي بقي كما هو وكذلك السلوك العام ، ولهذا ومن اجل الوقوف على الاختلاف بين هذه الفرق يتوجب على كل باحث في موضوع الدونمة المرور على هذه الفرق الثلاث من اجل سبر أغوارها وهذه الفرق هي كل من (اليعقوبيون ، والازميريون ، والقره قاش) .

1- اليعقوبيون : (يعقوبلر بالتركية) .

اطلقت هذه التسمية على هذه الفرقة نسبة الى يعقوب فريدون ، الذي استقر في سلانيك ، منذ عام 1680 مع اخته وأبيها وأخويه ممن أظهروا اسلامهم ، ويعقوب هذا هو شقيق زوجة سبتاي الثانية التي تزوجها بعد وفاة زوجته الاولى سارة في منفاه بألبانيا ، وكان يعقوب قد ذهب الى ألبانيا مع أبيه وشخص اسمه عبد الرحيم لجلب اخته (يهوبد) التي اطلق عليها بعد زواجها من سبتاي اسم ، (عائشة) الى سلانيك ، وفي هذه المدينة اعتزل يعقوب الناس مع اخته ثلاثة ايام ، وبعدها أعلنت اخته ان سبتاي قد ظهر لها وقال لها انه قد تبنى يعقوب وان روحه

قد حلت فيه واطلق عليه (يعقوب زيفي) نسبةً الى سبتاي زيفي ، اما يعقوب فقد اطلق على نفسه اسم (عبد الله يعقوب) أو (يعقوب أفندي) . [122] بعد هذا اعلن يعقوب عن نفسه ممثلاً لسبتاي وسانده في ادعائه أبوه فيلوسوف الذي كان من اتباع سبتاي الاوائل ، كما سانده في ادعائه هذا الحاخام (يوسف فلورنتين) الذي كان أيضاً من اتباع سبتاي المخلصين ، بعد هذا اتجه يعقوب نحو اتباع سبتاي الذين لم يعلنوا الاسلام يدعوهم بإلحاح الى اظهار اسلامهم ، وعلى اثر دعوته هذه اعلن ما يقرب من ثلاثمائة عائلة اسلامها في مسجد سلانيك عام 1683 . [123]

ويعرف اتباع هذا الفرع بـ (الحلقيين النظاف) لانهم يحلقون شعر رؤوسهم بشكل كامل ويرسلون لحاهم ، كما عرفوا أيضاً بـ (لابسي الطرابيش) لأنهم تبنوا لبسها وهذه التسمية أطلقها عليهم الأتراك من مواطني الدولة العثمانية ، ويتميز هؤلاء بنحافة أجسامهم ودقة أنوفهم وطولها ، ومن اجل ان يرفع يعقوب شكوك الدولة العثمانية عنه وعن أتباعه بإسلامهم سافر الى الحج مع مجموعة من أتباعه الا انه توفي عند عودته في الإسكندرية ، وكان هذا في تسعينات القرن السابع عشر . [124]

وتعد هذه الفرقة من أكثر فرق الدونمة اندماجاً بالمجتمع العثماني ، اذ شغل عدد كبير منهم الكثير من الوظائف فضلاً عن عملهم في المهن الحرة ، كما كانت هذه الفرقة اكبر الفرقتين الاخرتين حجماً وأفضلها إجادة للغة التركية . [125]

2- **الازميريون** :- أو (قبانجس) او (قباندجش) ويسمون أيضاً بـ (بابولار) وتعني الانصار الحقيقيين او القدماء وهم يطلقون على انفسهم (كفاليروس) أي الفرسان او الاشراف ، وهم بكل هذه الصفات يريدون ان يؤكدون على انهم الاتباع الحقيقيون لسبتاي ، وقد أطلقوا على فرقتهم اسم (الأزميريون) نسبة الى أزمير المدينة التي ولد فيها سبتاي زيفي وعاشت فيها اسرته ، أي بمعنى اخر ان هذه التسمية كانت من باب التيمن بمدينة ومسقط رأس سبتاي وهي أزمير . [126]

والكثير من اعضاء هذه الفرقة يعملون كمهندسين ومعلمين ومحاميين ، كما انهم اكثر ثراء من اعضاء الفرعين الاخرين ، وكان العديد من حلاقي سلانيك او كلهم من اعضاء هذه الفرقة في مدة من الزمن ، فضلاً عن كونهم معروفين بصناعة الطرابيش ، وهم على عكس فرقة اليعقوبيين نلاحظ انهم كانوا يرسلون شعر رؤوسهم

ويحلقون لحاهم ، اما نسا ؤهم فقد كن يضفرن شعر رؤوسهن ضفائر رفيعة جداً ، وكان بعض اتباع هذا الفرع قد هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية وأمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر غير ان الكثير منهم كان قد عاد الى الدولة العثمانية بعد سنوات . [127]

3- القرة قاش :- لم يحدد التاريخ سنة ظهور هذه الفرقة بشكل دقيق ولكن أغلب الظن ان هذه الفرقة ظهرت في عام 1690 ، وان تحديد أصل انشقاق هذه الفرقة من أي الفرقتين سواء كان من اليعقوبي ين او الأزميري ين لم يكن واضحاً ، الا انها ظهرت بزعامة (مصطفى جلبي) واستمرت تحت زعامته لمدة عشرين سنة ، ثم تلاه في زعامتها (بروخياروسو) أو (كونيو) الذي اطلق عليه فيما بعد عثمان بابا ، وكان ابوه (يوسف روسو) من أتباع سبتاي الأوائل ومن تلاميذ ناثان المتنبئ وهو نفسه عبد الرحيم الذي صحبه والد زوجة سبتاي الثانية وأخيها لجلبها من ألبانيا . [128]

وفي عام 1716 ادعى باروخينا بأن روح سبتاي الالهية قد حلت فيه ، وبناءً على ادعائه هذا فقد أصبح هو الممثل الحقيقي لسبتاي ، فأخذ يحلل محرمات الشريعة اليهودية ومنها ما يتعلق بالعلاقات الجنسية حتى بما يتعلق بالأقارب المحرم الزواج منهم ، وكانت وجهة نظره في ذلك بان عمله هذا سوف يعجل من ظهور المسيح المخلص ، لذلك يع د هذا الفرع من أكثر فروع الدونمة تطرفاً في هذا الخصوص ، وقد عثر على بعض الرسائل التي تذكر حدوث علاقات جنسية بين المحارم ولكن ليس على أساس عاطفي بل على أنها واجب ديني . [129]

توفي باروخينا عام 1720 وأصبح قبره مزاراً لأتباعه يحجون اليه ويتبركون به ، وكان لباروخينا هذا أثر على اليهود حتى خارج الدولة العثمانية ، الى درجة ان اسمه كان قد اقترب باسم سبتاي في صلاة أتباعه ، وبعد وفاته خلفه على زعامة هذه الفرقة ابنه عبد الرحمن ، ثم جاء بعده (درويش أفندي) وهو نفسه الشاعر اليهودي (يهودا ليفي طوبا) .[130]

ومن المستحدثات التي احدثها درويش أفندي خلال زعامته لهذه الفرقة انه استحدث نوعاً من الزواج الجماعي (زواج نساء الفرقة من كل رجالها) ، واعتمد

في ذلك على بعض كتب القبالة التي فسرها بطريقته الخاصة ، الا ان هذا الزواج لم يصبح ضمن الممارسات العامة لاتباع هذه الفرقة ، ولكن كان له أثر في تبادل الزوجات والذي سنعرج عليه في الصفحات القادمة ، وأعطى حقاً للمرأة لتولي الزعامة الدينية ، وكان من زعماء هذه الفرقة في فترة من الفترات رجلاً اعمى واسمه (أمبرجي) وقد كان من القسوى بان اضطهد أتباعه اضطهاداً شديداً حتى اطلقوا عليه (تيمورلنك) . [131]

اطلق اتباع هذه الفرقة على خلفاء بروخينا لقب (خليفة أو صاحب) وعادة ما يضع رجال دينهم علامة خضراء على ملابسهم ، ويتميز هؤلاء بأنهم يرسلون لحاهم ولا يحلقون شعر رؤوسهم ، وهم بهذا كما نلاحظ يخالفون رجال الفرقتين السابقتين ، ويطلق عليهم اعدا ؤهم (اونيولو) أي (أصحاب الحيل العشر) اذ اتهموا بإضافة أشياء اخرى الى عقيدتهم فأصبحت وكأنها مأخوذة من عشر عقائد[132]

وكان اتباع هذه الفرقة من فقراء الدونمة ومن العمال والحاكة والاسكافيين وأصحاب الدكاكين والقصابين ، الا ان وضعهم تغير فيما بعد وأصبح الكثير منهم تجاراً خاصة في مجال الاقمشة ، وعلاقة هؤلاء بالأزميريين افضل من علاقتهم باليعقوبيين ، وكان أتباع هذه الفرقة قد نشطوا بعد وفاة باروخينا وأرسلوا رسلاً الى بولندا وألمانيا ودولاً اخرى لجذب أتباع سبتاي الى فرقتهم . [133]

على هذا الحال أصبح يهود الدونمة بعد وفاة سبتاي منقسمين الى ثلاث فرق متناحرة ومنعزلة احدها عن الاخرى فقد أصبح لكل فرقة مكان عبادتها الخاص بها ومقبرتها ، وأصبح لكل فرقة مجلس أعلى يمثل مصالحها ويدير شؤونها ، وغالباً ما كان رئيس الفرقة أو الفرع مستمراً في الرئاسة طول حياته ، الا ان بعض عادات وتقاليد هذه الفروع أخذت تتغير تدريجياً كلما مر عليها الزمن كنوع من محاكاة الواقع وتطور نظام الحياة.

تاسعاً :- عيد الحمل وتبادل الزوجات .

للدونمة أعياد عدة وأغلب هذه الاعياد تم استحداثها من قبل مؤسس هذه الفرقة سبتاي زيفي ، فضلاً عن بعض الأعياد اليهودية التي أبقى سبتاي أتباعه على

ممارستها [134] ، الا ان أهم اعياد الدونمة وأكثرها غرابة هو عيد الحمل أو عيد اطفاء الشمعة هذا العيد الذي أثار لغطاً كبيراً لدى الباحثين أو المراقبين المختصين بيهود الدونمة ، وذلك لغرابة وكثرة ما أشيع عما يحدث في هذه الليلة أثناء الاحتفال بعيد الحمل واطفاء الشمعة ، رغم انكار الدونمة لهذا الطقس الا ان الأدلة والشواهد التاريخية تؤكد وجود هذا الطقس .

وطقس تبادل الزوجات في هذه الليلة يع د طقساً دينياً من طقوس الدونمة السرية المهمة ، ففي الليلة الثانية والعشرين من آذار التي تسمى ليلة الحمل تجتمع مجموعة من الأزواج والزوجات في مكان خاص ، اذ ترتدي الزوجات أحسن ملابسهن وأجمل حليهن وبعد صلاة طويلة ، وبعد نضج (الحمل) تقوم الزوجات بتقطيع الحمل وتوزيعه على الحاضرين وبعد العشاء تطفأ الأنوار وتبدأ عملية تبادل الزوجات . [135]

ويسمى هذا الاحتفال بالعبرية (صج هاكفس) أي عيد الحمل كما يطلق عليه أيضاً(عيد بداية الربيع) أو (اطفاء الضياء)، أما فيما يتعلق بالأطفال الذين يولدون من الاتصال في هذه الليلة فيكونون أطفالا مميزين من وجهة نظر الدونمة ، وذلك لاعتقاد الدونمة ان سبتاي يحضر هذا الاتصال ، كما يقول البعض الاخر ان روح سبتاي تحل في الأولاد الذين يولدون نتيجة هذا الاتصال . [136]

وعلى الرغم من وجود هذا الطقس عند الدونمة ، الا ان الدونمة ينكرون وجوده لأسباب عقائدية ، الا ان هناك من الأدلة ما يؤكد وجوده ، ويفند أقوال الدونمة النافية لهذا الطقس ، ومن هذه الادلة ما يتعلق بأقوال بعض زعمائهم (فيعقوب فريدو) مثلاً كان يقول لا مانع من أن تذهب المرأة مع الرجل المتزوج اذا كانت تميل نحوه ، وكان لا يمانع ان تترك المرأة المتزوجة زوجها وتذهب مع من تحب [137] كما عرف عن باروخينا احد أبرز الأزميري ين المذكورين سلفاً انه حلل العلاقات الجنسية المحرمة حتى معاشرة المحارم التي نصت التوراة على تحريمها بل أوجب العمل به اعتماداً على تفسيراته الخاصة من اجل التعجيل بظهور المخلص[138]

ويذكر اسحاق بن زيفي بأن أحد كبار السن من الدونمة أخبره بأن الفرع الذي كان ينتمي اليه قد مارس الاباحية الجنسية وان هذا العمل استمر حتى أيام السلطان

عبد العزيز (1861–1876) ، ووردت اشارة اخرى عن هذه الممارسة والعمل بها حتى عام 1910 ، اذ ذكر أحد الطلبة من الدونمة الى زملائه اليهود بأن هذه الممارسة موجودة حتى العام المذكور [139] ، وفي اشارة احدث الى وجود هذه الممارسة ذكر احد الأطباء الدونمة في عام 1942 ، ان جده كان يشارك في ممارسة هذا العمل في سلانيك . [140]

عاشراً :– الدونمة وأثرها في المجتمع العثماني .

كان للدونمة أثر واضح في المجتمع العثماني خصوصاً في المناطق التي تواجدوا فيها ، وذلك من خلال ممارستهم لحرف عدة سواء كانت بسيطة وبدائية ام معقدة كمهندسين وأطباء وصيارفة ، على الرغم من قلتهم العددية في الدولة العثمانية قياساً بغيرهم من مكونات المجتمع العثماني ، وهذا ما أكدته الوثيقة السرية التي بعث بها السفير البريطاني في الدولة العثمانية الى وزارة الخارجية البريطانية المؤرخة في 29 مايو عام 1910 والتي جاء فيها ((ان عدد سكان سلانيك مائة وأربعون الفاً ، منهم ثمانون ألف يهودي من أصل اسباني وعشرون الفاً من فرقة شبتاي ليفي أو اليهود الباطنيين الذين تظاهروا بالاسلام)) . [141]

فللدونمة في سلانيك دور بارز على الصعيدين السياسي والاقتصادي في الدولة العثمانية ، ومن الصعوبة على أي باحث الفصل بين الدور السياسي والاقتصادي للدونمة أو تفضيل أحدهما على الاخر فالاقتصاد هو الذي يحرك السياسة ومن هنا جاءت قوة ونفوذ الدونمة أواخر الدولة العثمانية فمقدرتهم المالية هي التي جعلت لهم اليد الطولا في تحديد مصير الدولة العثمانية منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، وذلك من خلال احتضانهم ومشاركتهم في جمعية الاتحاد والترقي التي قدر لها انهاء حكم السلطان عبد الحميد الثاني من ثم تفتيت الدولة العثمانية [142] ، واسدال الستار على امبراطورية هزت العالم لقرابة قرون ستة .

هذا وقد أكد الباحثون والمعاصرون لجمعية الاتحاد والترقي دور اليهود عموماً والدونمة خصوصاً في تأريخ هذه الجمعية منذ نشأتها الاولى حتى نهايتها وهو الدور الذي امتد الى تركيا الحديثة والذي هو خارج نطاق بحثنا هذا .

فكما ذكرنا سابقاً ان سلانيك كانت مركزا مهما من مراكز اليهود والدونمة في الدولة العثمانية ، وهذا ما جعلها مناخاً مناسباً لتدبير الدسائس والمؤامرات من اجل الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني ، الذي رفض كل مغريات اليهود له مقابل تنازله عن فلسطين لليهود ، ومن هنا جاء الدافع لكي يتبنى اليهود والدونمة الحركات المعارضة للدولة العثمانية عموماً والسلطان عبد الحميد الثاني خصوصاً(143) .

فمن اليهود الذين كان لهم دور كبير في دعم جمعية الاتحاد والترقي هو المحامي اليهودي (عمانوئيل كراسو) الذي كان رئيس المحفل الماسوني (مكدونيا ريزورتا) ، الذي تمكن من اقناع اعضاء جمعية الاتحاد والترقي من عقد اجتماعاتهم السرية داخل المحفل المذكور اعلاه ، مستفيداً من معاهدة الامتيازات الاجنبية التي منحت الحصانة للرعايا الأجانب وحمايتهم وممتلكاتهم من القانون العثماني الى درجة منع تفتيش منازلهم. (144)

ومن اجل احكام سيطرة اليهود والدونمة على جمعية الاتحاد والترقي نجح عمانوئيل كراسو من اقناع رجال جمعية الاتحاد والترقي بالانضمام الى المحفل الماسوني (مكدونيا ريزورتا) ، وبهذا نجح كراسو من التحكم بالجمعية وأعضائها سواء كانوا من المدنيين او العسكريين متذرعاً بامكانية حمايتهم كون مقر المحفل هو أحد بيوت الاجانب الذي يتمتع بحصانة ضد التفتيش والمراقبة ، وجاء الشكل الثاني من دعم اليهود والدونمة لجمعية الاتحاد والترقي هو قيام اليهود والدونمة بتمويل الجمعية ورجالها من اجل التمكن من تنفيذ الأجندة اليهودية في الدولة العثمانية حتى قال الناس ان جمعية الاتحاد والترقي هي جمعية ماسونية يهودية وهذا ما اكدته الوثيقة البريطانية التي أرسلها السفير البريطاني في الدولة العثمانية الى وزارة الخارجية البريطانية . (145)

وكراسو هذا الذي ذكرته الوثيقة البريطانية ، أصبح بعد اعلان الدستور العثماني عام 1908 عضوا في مجلس المبعوثين العثماني ، فضلاً عن كونه احد أعضاء الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد الثاني بعزله عن العرش عام 1909 ، ومن اليهود الاتحاديين (نسيم مزلياح) الذي أصبح نائباً عن أزمير في مجلس المبعوثين العثماني فضلاً عن (ناظم بك) الذي يعتقد بأنه من يهود الدونمة والذي

كان من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البارزين والذي ذهب برفقته احد الدونمة والمدعو (فائق بك توليدو) الى باريس للاتفاق مع جمعية الاستعمار اليهودي من أجل تهجير بضعة ملايين من يهود روسيا الى بلاد مابين النهرين ، وكان من اليهود ايضاً (حقي باشا) سكرتير رئيس الوزراء . [146]

ومن الدونمة البارزين والذي لعب دوراً مهماً في جمعية الاتحاد والترقي (حسين جاهد بك) الذي ترأس تحرير صحيفة (طنين) ، التي كانت من أهم المنابر التي حاربت السلطان عبد الحميد الثاني وآزرت الأطماع اليهودية في الدولة العثمانية وكان من أقرب المقربين لبن غوريون ، فضلاً عن كون حسين جاهد بك مستشاراً خاصاً لأهم شخصيات الدونمة الوزير (محمد جاويد بك) ، وكان ايضاً عضواً في مجلس المبعوثين العثماني ، وتأكيداً على أهمية دور يهود الدونمة في جمعية الاتحاد والترقي فقد ذكر احد المصادر ما نصه ((بعد أن بقيت فرقة الدونمة لاكثر من قرنين من الزمن مجهولة لدى الناس ، أصبح لها دور سياسي بارز ومهم في (الدولة العثمانية) في العصر الحديث وذلك للدور البارز الذي لعبه بعض أعضائها في لجنة الاتحاد والترقي)) ، كما ذكر أحد المصادر المعاصرة بأن العقول الحقيقية للحركة (والمقصود بها اعلان الدستور) كانت يهودية أو يهودية – اسلامية (دونمة) . وقد جاءت لهم المساعدات من أغنياء الدونمة وكذلك من اليهود الذين كانوا في سلانيك بجانب المساعدات من الرأسماليين العالميين وشبه العالميين في فينا وبوداسبت وبرلين ومن المحتمل أيضاً من باريس ولندن . [147]

وكان من سياسيي الدونمة البارزين (محمد جاويد بك) سابق الذكر الذي كان من أبرز رجال جمعية الاتحاد والترقي ، والذي شغل منصب وزير المالية ثلاث مرات بين الأعوام 1910 – 1918 ، وجاويد هذا كان حفيداً لبروخيا مؤسس فرع القرة قاش ، وكان جاويد زعيماً لهذا الفرع في وقته . [148]

ومن اجل التعرف على نفوذ جاويد بك وسطوته على جمعية الاتحاد والترقي يجب علينا العودة الى الوثيقة البريطانية سالفة الذكر والتي جاء فيها : ((ان طلعت بك وزير الداخلية الذي هو من أصل غجري من كرجالي في مقاطعة أدرنة ، وجاويد بك وزير المالية الذي هو يهودي باطني هما التجسيد الرسمي للقوة الخفية للجمعية

وهما فقط الوزيران اللذان يحسب لهما حساب حقيقي وهما أيضاً يمثلان قمة الماسونية في تركيا)) . [149]

وطبقاً لما ذكره مارك افروم اهريلج ان محمد جاويد كان صهيونياً متعصباً وكان يرى ان من مصلحة الدولة العثمانية توطين اليهود في فلسطين [150] .

لم يقتصر نشاط الدونمة المعادي للدولة العثمانية على الرجال فقط اذ كان من طائفتهم نساء حملن راية التمرد والعداء للدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني وكان من أبرزهن خالدة اديب التي انضمت الى جمعية الاتحاد والترقي وكانت هذه من الكاتبات والأديبات المشهورات والتي نشرت عدد ا من الكتب والمقالات ، وكانت من أكثر اعضاء الاتحاد والترقي نقداً لحكم السلطان عبد الحميد الثاني ، وكان لها تأثير قوي على حسين جاهد بك ومصطفى كمال . [151]

Abstract

We can consider Aldonma as one of the difference new Jewish religious of research and study . The importance of this band, or community coming for a number of factors, That is because it is played an important role on late Ottoman Empire ,this role which has spread to Turkey until today, and we can see this things in our Islamic world. Therefore, it is necessary to identify

this band Through the study and follow all the stages of development and the role Which played in the period of Ottoman.

Eldonma is a Jewish movement founded before more than three centuries, the Jewish Sabbatai Sevi (1675-1626) who claimed that he is the Christ who came to save the children of Israel and end the phase dispersion , so he should fallow the Jewish religion and establish the Kingdom of the Jews in Palestine. This person did not hesitate to convert to Islam after realizing that his life will end , After his accused of threatening the security and integrity of the Ottoman Empire. The incident of his conversion to the Islamic religion, a watershed event between his call to Islam and his followers from the other side. After his declaring to conversion to Islam has shocked the Jews. Here we can recognize the division between him and his followers into two groups , The first group follow Islam ostensibly, and The second part of them refused by denying convert Sabbatai in to Islam and they insist to convert Jewish.

قائمة المصادر والهوامش

١ محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، 1976 ، ص 12 .

٢ محمد كمال كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، مصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، 1968 ، ص 179 – 181 ، محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 12 – 83 .

٣ -هدى درويش ، العلاقات التركية – اليهودية واثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة يهود الدونمة 1648م الى نهاية القرن العشرين ، ج 1 ، دمشق دار القلم ، 2002 ، ص 160 .

٤ -احمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 1990 ، ص 30 ؛ هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 160 – 161 .

٥ -المصدر نفسه ، ص 183 .

٦ -نسبة الى اشكناز الاسم القديم لألمانيا بالعبرية والاشكنازيم نخبة من اليهود تمثل أرقى المستويات العلمية والحضارية بين اليهود في العالم وتشكل نسبتهم (80–90 %) من يهود العالم وموطنهم الأصلي شرق اوربا ووسطها وينسب اليهم معظم يهود العالم ، لمزيد من التفاصيل ، انظر : أفرايم ومناحيم تلمي ، معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة : احمد بركات العجرمي ، ط 1 ، عمان ، 1988 ص 313 ؛ عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ط 1 ، م4 ، ج 2 ، القاهرة ، دار الشروق ، 1999 ، ص 251 .

٧ -نسبة الى السفارد والتي تعني بالعبرية اسبانيا ، والسفارديم تطلق على اليهود الذين هربوا من اسبانيا والبرتغال وهم ينتمون الى قبيلة بنيامين لذلك هم يدعون لأنفسهم مركزاً دينياً مرموقاً ، موطنهم الأصلي حوض البحر المتوسط ، لمزيد من التفاصيل ، نظر : افرايم ومناحيم تلمي ، المصدر السابق ، ص 241 ؛

Rabbi Isaal Ieeser , The Jews of the East { ottoman Empirel } , The occident and American Jewish Advocate , VOL. (1) , NO . (1) , Aprial 1843 , pp . 1–3 . Internet .

٨ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 39 – 40 ؛ عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م4 ، ج2 ، ص 251 .

٩ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 161 .

١٠ –محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 73 ؛
NaimGuleryii The History of Turkish Jews , Holiday news Paper , No . H12 Winter , 2001 , P . 2 .

١١ – هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1، ص 162 .

١٢ – احمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، ص 23 – 24 ؛
William Polkand others , Backdrop To Tragedy , the straggle for Palestine , Boston , 1957 , P . 29 .

١٣ – هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 164 ؛
Naim Guleryii ,op . cit , p . 2 .

١٤ – هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 164 .

١٥ –جوزيف ناسي ، ولد في البرتغال في بداية القرن السادس عشر ، ومات في اسطنبول عام 1579 ، كان معتمد مالياً لكلا البلاطين الاسباني والفرنسي ، ارتدت عائلته عن يهوديتها واعتنقت المسيحية ، هاجر ناسي انفرس واستوطن في البندقية واتخذها مركزاً للاتصالات والتحرك مع الجاليات اليهودية التي كان يقدم لها الدعم المالي والأدبي ولقد أصبح له مهمة الاشراف على الجاليات اليهودية هناك ، فضلاً عن ذلك محاولته لإقامة دولة يهودية في احدى جزر البحر المتوسط ، وهذا ما دفع حكومة البندقية لوضعه تحت الرقابة مما اضطره الى الهروب من البندقية الى مدينة أنفري ، ومنها تمكن من التقرب الى ملوك اوربا من خلال قيامه باقراضهم الاموال الطائلة فتعاظم شأنه ، لجأ ناسي الى الدولة العثمانية في عام 1544 ، في عهد السلطان سليمان القانوني ، حيث أصبح مسؤولاً على مصرف اسطنبول ومسؤولاً عن الضرائب الزراعية في الادارة العثمانية ، وبعد تولي السلطان سليم الثاني السلطة أصبح ناسي مقرباً منه ، وبعد استيلاء السلطان سليم الثاني على جزيرة ناكسوس في عام 1566 ، قام السلطان بإعطاء الجزيرة له كإقطاعية ، ثم أصبح دوقاً لها ، لمزيد من التفاصيل ، انظر : عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، مطبعة الجامعة ، 1980 ، ج 1 ، ص 621 ؛ سليمان ناجي ، المفسدون في الأرض ، ط2 ، بيروت ، 1979 ، ص 321 .

16- Cecil Roth , A history of the Jews , New York , (N.D) , p . 156 .

١٧ - هدى درويش ، المصدر لسابق ، ج1 ، ص 166 .

١٨ - احمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، ص 28 .

١٩ - محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ط 1 ، مصر ، مطبعة محمد أفندي بحوش ، 1896 ، ص 384 ؛ محمد كمال الدسوقي ، المصدر السابق ، ص 257 .

٢٠ - هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 169 .

٢١ - المصدر نفسه ، ص 184 .

٢٢ - المصدر نفسه ، ص 186 – 187 .

٢٣ -الالياس الاسرائيلي :- ويقصد به التحالف الاسرائيلي العالمي ، اسس في فرنسا عام 1860 على يد اليهودي الفرنسي ادولف كريميه ، وكان الهدف من انشأها هو العمل على مساعدة اليهود عن طريق التعليم والتدريب ، لمزيد من التفاصيل ، انظر : هدى درويش ، المصدر نفسه ، ص 76 .

٢٤ -مكفة اسرائيل :- مستعمرة يهودية قابل فيها تيودور هوتزل الامبراطور الالماني وليم الثاني عام 1898 ، حينما كان الاخير في زيارة للقدس ، حاول هرتزل فيها استدرار عطف الامبراطور الالماني من اجل تأييد قضية اليهود واستيطانهم في فلسطين ، لمزيد من التفاصيل انظر : هدى درويش ، المصدر نفسه ، ص 187 – 188 .

٢٥ -رفيق شاكر النتشة ، السلطان عبد الحميد وفلسطين (السلطان الذي فقد عرشه في فلسطين) ، ط1 ، عمان ، دار الكرمل ، 1984 ، ص 27 .

٢٦ -عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م2 ، ج2 ، ص 306 .

٢٧ -رفيق شاكر النتسة ، المصدر السابق ، ص 27 .

٢٨ -محمد عمر ، يهود الدونمة ، سلسلة دراسات اسلامية تاريخية ، رقم (1) ، (بلا مكان) ، (بلا تاريخ) ، ص 12 – 13 ؛ احمد نوري النعيمي : يهود الدونمة ، ص24 .

٢٩ -محمد حرب عبد الحميد ، يهود الدونمة الى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد ، مجلة العربي الكويتية ، العدد 255 ، فبراير 1980 ، ص 45 – 49 ؛ محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 15 .
٣٠ -محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 14 ؛ احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص 24 .
٣١ -جعفر هادي حسن ، الدونمة بين اليهودية والاسلام ، ط 1 ، بيروت ، دار الوراق ، 2008 ، ص 45 – 46 .
٣٢ -المصدر نفسه .
٣٣ -محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 17 ؛ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 34 .
٣٤ -المصدر نفسه ، ص 47 .
35- J . Freely , The lost Messian , In search of sabbatai sevi , London , 2001 , p. 27 .
٣٦ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 47 .
٣٧ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص70 .
٣٨ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص16 .
39- G . Scholen , Sabbaatai sevi , London , 1973 , p.136.
٤٠ -محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 19 ؛ G.Scholen , op . cit , p . 142 .
٤١ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 48 – 49 .
٤٢ -محمد عمر ، المصدر السابق ص 20 ؛ احمد نوري النعيمي : يهود الدونمة ، ص 23 .
٤٣ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص49 .
44-G . Scholem , op . cit , p . 162 .
45-Ibid .
٤٦ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص23 .

٤٧ عجاج نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، ط 1 ،ج4 ، عمان ، دار الجليل للنشر ، 1984 ، ص39 .
٤٨ محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 21 – 22 .
٤٩ المصدر نفسه .
٥٠ احمد سوسة ، مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ط 5 ، دار الحرية للطباعة ، 1975 ، ص378 ؛ هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 52 .
٥١ محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 23 .
52-G . Scholem , op . cit . p. 193 .
٥٣ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 54 .
٥٤ احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص 378 ؛ هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 73 .
٥٥ عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م 5 ، ج 2 ، ص 301 ؛ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 56 .
٥٦ المصدر نفسه ، ص 58 .
57-M . Goldish , The Sabbateom Prophets , Hanard University press , 2004 , p. 64 .
58-Ibid , p. 72 .
٥٩ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 59 .
٦٠ عجاج نويهض ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 216 .
61-H . Greatz , Popular History of the Jews , New York , 1919 , p. 164 .
62-G , Scholem , op . cit , p. 69 .
٦٣ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 60 .
64-J. Freely , op . cit , p. 355 .
٦٥ احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص 377 ؛ عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ، ج2 ، ص 302 .

٦٦ -المصدر نفسه ، ص 301 .

67-J. Freely , op . cit , p. 62 .

68-G . Scholem , op . cit , p. 254 .

٦٩ -عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ، ج2 ، ص 301 .

70-G . Scholem . op . cit , p. 257 .

٧١ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 65 ؛ عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ، ج2 ، ص 302 .

٧٢ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 67 .

٧٣ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 74 – 75 .

٧٤ -عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ، ج2 ، ص 302 .

75-J . Freely , op . cit , p. 68 .

76-Ibid , p. 110 .

77-G . Scholem , op . cit , p. 424 .

٧٨ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 88 .

79- J . Freely , op . cit , p. 107 .

80-G . Scholem , op . cit , p. 649 .

81-Ibid , p. 650 .

٨٢ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 91 .

٨٣ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 76 ؛ احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص 378 .

٨٤ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج 1 ، 76 ؛ محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 25 .

٨٥ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص35 .

٨٦ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 96.

٨٧ -المصدر نفسه .

٨٨ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 76 ؛ احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص 378 .

٨٩ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص 36 ؛ على حسون ، ص 186.

٩٠ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 77 – 78 ؛ عجاج نويهض ، المصدر السابق ، ج4 ، ص 219 .

٩١ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 103 .

٩٢ -محمد حرب عبد الحميد ، يهود الدونمة ، ص 47 ؛ محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 27 .

93-H . Greatz , op . cit , p. 177 .

٩٤ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 106 .

95-J . Freely op . cit . pp. 139 – 140 .

96-Ibid , p. 143 .

97-Ibid , pp. 152 – 153 .

٩٨ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص 40 ؛ هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 83 – 84 .

99-J . Freely , op . cit , p. 187 .

١٠٠ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 112 .

101-G . Scholem , op . cit , p. 875 .

١٠٢ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 84 .

١٠٣ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص 41 – 42 .

١٠٤ -احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص 42 ؛ محمد علي قطب ، المصدر السابق ، ص 25 .

١٠٥ – احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص 379 ؛ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 118 .

١٠٦ – محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 30 ؛ هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 84 – 85 .

١٠٧ – جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 118 .

١٠٨ – حول التطورات بعد وفاة سبتاي ، انظر: حكمت طونيو ، الدونمة اليهود المرتدون ، ترجمة : فاضل بيان ، مخطط محفوظ في ارشيف مركز الدراسات التركية ، جامعة الموصل ، ص12 . .

109- J . Freely , op . cit , p. 119 .

١١٠ – جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 137 .

١١١ – التفلين :- هو صندوق صغير من الجلد فيه عبارات من التوراة ويوضع على الجبهة وتتصل به سيور تمتد على اليد اليسرى ، المصدر نفسه .

١١٢ – الطاليت :- وهو قطعة من القماش في نهايتها خيوط وهي مما يستعمله اليهود في صلاتهم : المصدر نفسه .

١١٣ – المصدر نفسه ، ص 138 .

114- A . Kucak , Donmeler Ve Donmelik Tarihi , Istanbul , (n.d) , p. 215 .

١١٥ – جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 139 .

١١٦ – المصدر نفسه .

117- J . Freely , op . cit , p. 255 .

118- Ibid .

١١٩ – جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 142 .

١٢٠ – المصدر نفسه .

١٢١ – هدى درويش ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 91 ؛ حكمت طونيو ، المصدر السابق ، ص 18 .

١٢٢ – جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 144 .

١٢٣ – احمد نوري النعيمي ، يهود الدونمة ، ص 48 ؛ عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ، ج2 ، ص 306 .

١٢٤ – جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 145 ؛ احمد سوسة ، المصدر السابق ، ص 864 .

١٢٥- عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ، ج2 ، ص 306 .

١٢٦- هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، 93 ؛ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 146 .

١٢٧- عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، م5 ج2 ، ص 306 .

A . Kucuk , op . cit , p . 204 .

١٢٨- حكمت طونيو ، المصدر السابق ، ص34 .

١٢٩- جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 146 .

١٣٠- المصدر نفسه .

١٣١- حكمت طونيو ، المصدر السابق ، ص 33 ؛ محمد عمر ، المصدر السابق ، ص 33 .

١٣٢- حكمت طونيو ، المصدر السابق ، ص 36 .

١٣٣- هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 98 .

١٣٤- المصدر نفسه .

١٣٥- جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 156 ؛ هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 98 .

١٣٦- جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 157 .

١٣٧- المصدر نفسه .

138- Ben – Zvi , op . cit , p. 152 .

١٣٩- جعفر هادي حسن : المصدر السابق ، ص 158 .

١٤٠- للاطلاع على ترجمة الوثيقة ، انظر : محمد توفيق حسين ، دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني 1908 (وثيقة مترجمة) ، مجلة آفاق عربية ، ع9 ، آيار 1978 ، ص 58 .

١٤١- جواد رفعت اتيلخان،الخطر المحيط بالاسلام (الصهيونية وبروتوكولاتها) وهبي عز الدين ، بغداد ، مطبعة الجاحظ ، 1965 ، ص 120 – 151 .

١٤٢- سليمان المدني ، تركيا اليهودية ، دار الانوار ، 1998 ، ص 116 – 120 .

١٤٣ -المصدر نفسه ، ص 115 .

١٤٤ -محمد توفيق حسين ، المصدر السابق ، ص 58 .

١٤٥ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج1،ص356-367 .

١٤٦ -محمد توفيق حسين ، المصدر السابق ، ص58 .

١٤٧ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص 170 ؛ هدى درويش المصدر السابق ،ج1 ، ص392 .

١٤٨ -هدى درويش ، المصدر السابق، ج 1 ،ص 43 ؛ محمد توفيق حسين ، المصدر السابق ، ص62 .

١٤٩ -جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص173 .

١٥٠ -المصدر نفسه .

١٥١ -هدى درويش ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 52 ؛ جعفر هادي حسن ، المصدر السابق ، ص175 .